كوني صحابيّة

الفهرس

الفصل الثاني

إحساسٌ رائع

الفصل الثالث

سوق السعادة

إهداء

إلى المؤنسات الغاليات.

د. حنان لاشين

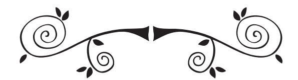


الفصل الأول

كوني صحابيّة

١

أسيرةُ الحب



وتمضي الأيّام، فتأكل من عمرنا ما تأكله، ولا يتبقّى لنا إلّا تاريخ يحفظه كلٌّ منّا؛ ليحسب كم مضى من العمر، ويتساءل بفضولٍ عمّا تبقى.

بين لحظات سعيدة، وأخرى نتحسّر فيها على الزمان الذي نشغلهُ ويشغل فينا الكثير، فنقولها أحيانًا وبصدق: يا ليتني وُلِدْتُ في عهد الصحابة.

نهرب بتلك الأمنية المستحيلة إلى أحبابٍ عرفناهم من بين سطور السيرة العطرة، فأحببنا فيهم عدل عمر، ورفق الصديق، وحكمة عليّ، والنّور الذي حظي به عثمان، والصوت النديّ الذي رُزِقَ به بلال f .

ومن الرّائع أن تتألّق في هذا العهد الطّاهر صحابيّات رائعات، كل واحدة منهن كوكب درّيٌّ وحدها، لو تعمّقنا في سيرتها لتغيّرت أحوالُنا نحن النساء، ولكانت كل فتاة مسلمة صحابيّةً بلسان حالها وأفعالها.

واليوم أقف تحت ضوء كوكبٍ عظيم لفتاةٍ رائعة، عرفنا عنها أنّها الابنة البارّة بأبيها، كما تفعلين أنتِ حبيبتي عندما تستقبلين والدكِ كلَّ يوم بوجه بشوش ينحني بأمر من قلبك البارّ؛ ليطبع قبلة على كفّ طالما حملك وأنتِ صغيرة، ورَفَعَ لفمك الحلوى اللذيذة، فتُسعِدين وجهًا طالما راقبت عيناه حالك وأنت تتذوقينها؛ فتبسمتا بحنان ورحمة.

هكذا كانت أسيرة الحب؛ إنّها أسماء بنت أبي بكر.

أسرها حبُّ أبيها؛ فكانت بارّةَ عندما أعانته على الهجرة، فحملت له وللنبيّ ﷺ الزّاد وهما في غار ثور. وكم كان رائعًا ثباتُها على الحق عندما أتاها أبو جهل ليستدرجها لتبوح بسرّ أبيها وتُخبره عن مكانه! فأبت ولم تتكلّم، وانصرف غاضبًا من ثباتها بعد أن لطمها بقسوة.

كذلك أنتِ عندما تحفظين سرَّ أبيكِ، وتحفظين نفسك كأمانةٍ في كلِّ دربٍ تسلكينه في حياتك، تحفظين نفسك؛ فتتعففين عن الحرام، والعلاقات، والصداقات مع الشباب التي يضعونها تحت شعارات ورديّة باسم الحب؛ فتزداد مكانتك عند أبيكِ، وتزدادين عند الله أجرًا، وتحبُّك الملائكة.

فلتثبتي أمام كل فتنةٍ تتلوّى وتتلوّن لتصل إليك من هنا أو هناك، وحتى لو لطمتك الأيام.. كوني كأسماء.

أسرها حبُّها لزوجها عندما عرف قلبها أرقى معاني الحب والرومانسيّة،

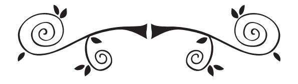
فقد أحبّت زوجها الزبير بن العوام d والذي كان فقيرًا لا يملك إلا فرسًا،

فقبَلَت وصبَرَت وخدَمَت الفرس وحملت الماء وطحنت النوى، وكل هذا لأنّها تحبه،

لم تغالِ في طلب، وكانت له نِعم العون ونِعم الزوجة الحبيبة الرقيقة الودودة،

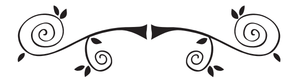
التي صبرت على شظف العيش والحرمان الشديد، حتى فتح اللّٰه عليهما وصبّ عليهما النعم صبًّا، وهكذا أنتِ عندما يأتيك الزوج الصالح، كوني له زوجة صالحة، كوني مثلها .

كوني صحابيّة



٢

القلب المهاجر



دعونا نُهاجر معًا إلى زمانٍ حلّقت فيه قلوبٌ طاهرة، فعَلت وارتقت وشقّت الغيوم باحثةً عن النور، ولنقترب من قلب بريء لفتاة رقيقة، انتفض ودقّ وسبّح بحمد اللّه؛ فهاجر وحيدًا، تاركًا الأب، والأهل، والدار، والمال، والجاه، واستجاب لنداء الحق، وأسلم مع الحبيب محمد ﷺ:

إنه قلب الحبيبة أم كلثوم بنت عقبة.

هاجرت بقلبها، واشتاقت لهذه الراحة والسكينة التي يحتوي عليها ديننا، فآمنت وأسلمت، على الرغم من أنّها كانت ترى والدها (عقبة)، وشقيقها (الوليد)،

والآخر (عمارة)، يتفننون في تعذيب العبيد والضعفاء لأنهم أسلموا، فلم تتراجع؛ بل حلّقت معهم.

تمامًا كما تفعلين أنتِ عندما تهاجرين بقلبكِ في زمن تزاحمت فيه الفتن، عندما تُقبِلين على الطّاعات، وترفعين رأسكِ إلى السّماء، وتُغمضين عينيكِ وتتنفّسين براحةٍ فينشرح صدركِ؛ لأنّكِ على صلةٍ دائمةٍ بالله.

هاجرت (أمُّ كلثوم) بنفسها عندما اتخذت قرارًا شجاعًا، فخرجت من بيتها لتهرب بدينها مهاجرة إلى المدينة، تاركةً خلفها عزَّ الأسرة، وأمان الأبِ، وعزوة الأهل، لتشقّ طريقًا طويلًا، تتلفّت يمينًا ويسارًا وهي لا تجد ما تركبه، وحيدة لا تجد من يصاحبها ويؤنسها. احتواها الليل بظلمته، وقَست عليها الشّمس الحارقة فأظمأتها، فلم تتراجع، وبللت شفتيها بالتسبيح، وتمسّكت بأطراف حجابها تطلب منه الأمان، واستعانت بدقّات قلبها تسأله الأُنس في تلك الطريق الوعرة، حتى الرمال الناعمة لم ترحم قدميها؛ فصارت تبتلعهما بدِقتهما ورقتهما، وعلى الرغم من هذا أكملت الطريق،

مُهاجرة على قدميها من مكة إلى المدينة بروحٍ شريفةٍ وقلبٍ مهاجر.

وكذلك أنتِ في كل لحظة تَثبُتين فيها، وتَتمسّكين فيها بدينك وحجابك وكرامتك وطاعتك لربك، حتى لو غضب منك الجميع، عندما تقفين عند حدود اللّه، عندما تتساءلين عن الحلال، عندما تترفعين عن الحرام، عندما لا تشهدين الزور، عندما تقولين: «لا» في وجه من يقول للمعاصي: «نعم».

عندما تصفعين الشياطين على وجوههم القبيحة، وأنت تزيحينهم من طريقك، ربّما تكونين أحيانًا وحيدة مثلها، لكنك تَثبُتين؛ لأنك تشبهينها بقلبك المهاجر.

وأخيرًا وَصَلَتْ، وأخيرًا فَرِحَتْ، وها هي في المدينة، لكنّهم سرقوا منها فرحتها عندما سارع أهلها للمدينة طالبين من النبي –صلّى اللّه عليه وسلّم– أن يُرجعها التزامًا بصلح الحديبية، وبنود المعاهدة التي نصّت على إرجاع كل من أتى من مكة مسلمًا وردّه لأهله. حزنت الحبيبة، واعتصر فؤادها المهاجر ألمًا، وارتفع

محلِّقًا في السماء يبتهل ويتوسّل إلى اللّه، فارتجّت السماء، واهتزّت أجنحة الملائكة، واقترب الأمين (جبريل) حاملًا آياتٍ أنزلها اللّه -عزَّ وجلَّ- رحمة بقلبها.

قال تعالى:

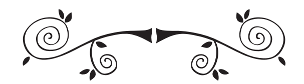
﴿فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ﴾. (سورة الممتحنة).

اللّه أكبر!

هنيئًا لك أيها القلب المهاجر، الآن فقط تستطيع أن تفتح جناحيك وتحلِّق بأمان.

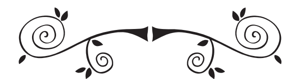
هكذا كانت حبيبتنا؛ فهاجري بقلبكِ مثلها، وكوني مثلها.

كوني صحابيّة.



٣

الضّوءُ الخافت



بعض العشّاق يجلسون على ضوء الثّريات الثمينة؛ حيث تطأ أقدامهم أغلى أنواع السجاد، على مقاعد توزّعت بنظام دقيقٍ، في أرقى قاعات الفنادق المشهورة، تتأنّق الفتاة وتجلس لتهذّب قطعة اللحم المستسلمة لها بخنوع بسكينها الدقيق وطرفه الحاد القاسي؛ حتى تجعلها مناسبة لفمها الدقيق، وعلى الرغم من ذلك تغيب السعادة!

أمّا أميرتنا الأنصارية، فكانت مائدتها جميلة..

فأميرها وزوجها العاشق الولهان لا يملّ من النّظر إليها، بل ويحاول أن يجعلها تنظر إليه من آنٍ لآخر، ليكون الوداد.

وتتعانق النّظرات، فيهمس إليها في بيتهما الهادئ بكلمات بسيطة من حين لآخر بصوته الحنون، الذي أدّبته سياط العشق طويلًا حتى تاب؛ لِتُسمِعه صوتها الودود.

كان زوجها الطيب والكريم من الأنصار، خرج يومًا بعد أن ودَّعته عيناها، ولوَّح القلب مطمئنًا، بعد أن تمتم لسانها بالدعاء له، فقصد مجلس الحبيب ﷺ ليتكحّل برؤية وجهه الطاهر، وينال شرف جواره.

فسَمع النبيّ ﷺ وقد استضاف رجلًا، فأخبر نساءه ليعددن له الطعام..

وكان الرد مفاجئًا!

«ما عندنا إلا الماء.»

التفت النبي ﷺ وسأل الحضور:

«من يضيّف هذا؟»

ترى من ينال الشرف؟ ومن سيضيّف ضيفَ الحبيب ﷺ؟

تسارعت دقات قلب أميرنا الذي تحمّس ورغب ﴿في﴾ الأجر والثّواب؛ فهبّ مجيبًا، وهو مطمئن أنّ خلفه زوجة ستعينه، ولم يتردد وأجاب قائلًا: أنا.

استبشر النبي ﷺ ومضى أميرنا مع هذا الضيف، وانطلق به إلى حبيبتنا، ودقّ بابها، وأطلَّ بوجهه الباسم من فرجة الباب، وأخبرها بحلول الضيف،

وقال بصوت تملؤه الثّقة: أكرمي ضيف رسول اللّٰه.

ارتبكت حبيبتنا للحظات، وطافت عيناها بجدران بيتها البسيط بسرعة، ثم قالت على استحياء: ما عندنا إلا قوت صبياني!

رجف قلبه، وصمت هنيهة، لكنه عاد ليبتسم ونظر إليها بيقين وقال: هيّئي طعامك، وأصلحي سراجك، ونوّمي صبيانك إذا أرادوا العشاء.

فأطاعته في الحال، ولم تتأفف، ولم تعترض، واحتوت صغارها بحنانٍ وجلست تُداعبهم حتى أنامتهم جائعين وقلبها يتمزّق، لكنَّها تذكّرت أنّه ضيف الرسول ﷺ وأنّه الآن ضيف زوجها، فهدأ قلبها بعد أن استمعت لأنفاس

أبنائها المنتظمة، وكأنها تسبّح بحمد اللّه، فقامت طائعة لربها قبل أن تكون طائعة لزوجها وحبيبها، وهيّأت مائدةً بسيطةً لا تعلوها ثُرياتٌ ثَمينةٌ، وليس تحتها سجادٌ فاخرٌ، ولم تلتف حولها مقاعدٌ فخمةٌ، ثم قامت كأنّها تُصلح سراجها فأطفأته، وجلسا مع الضيف وحرّكا كفيهما وكأنهما يأكلان، على ضوء خافت نبع من قلب يحب اللّه ورسوله.

ومرّت الليلة، وشَبِع الضّيف والكلّ جائع، لكنّهما ذاقا معًا لذّة الإيثار.

وفي اليوم التالي غدا زوجها إلى النبي ﷺ فأخبره أن اللّه أعجبه صنيعهما وأحبّه.

حبيبتي في اللّه..

قد يخلو بيتك من الأثاث الفاخر، وربّما لا تمتلكين ثُريات ثمينة، وقد يأتيك زوجٌ بسيط حاله، فابحثي عن السعادة بينك وبينه، ولا تفتّشي عنها في ماديّات تفنى، واجعلا لكما عملًا بسيطًا وصادقًا يرضي اللّه؛ ليكون في

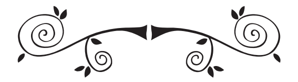
بيتكما «ضوء خافت» ينبع من قلب حنون صادق، تعيشين حوله كما عاشت تلك الصحابيّة، وكوني مثلها.

كوني صحابيّة.



٤

القلوبُ الخضراء



قد يعشق القلب، ويحبّ، ويهوى، ويغرم، ويتألّم،

لكنّه يأبى أن يسقط، ويتعفف أيضًا عن الحرام، عندما تكون النّفس طاهرة، والرّوح ربّانية، والقلوب خضراء نضرة، لا تدقّ إلا بالحلال.

هكذا هي قصّتنا، قصّة حب بين قلبين من أطهر القلوب، فهو نشأ معها في نفس البيت، وتربطه بأبيها صلة قرابة، رآها فتمنّاها زوجة، لكنّه أبدًا لم يجرحها ببصره، فغضّه عنها، ولم يؤذها بهمسةٍ أو لمزة، وكأنّ قلبها يخفق بين أضلعه، وفؤاده شدّ الرّحال تجاه موطن قلبها، وبقيتْ حلمًا وظل لسانه أسيرًا للحياء، لا يملك أن يبوح بهواه.

هذا اللسان الطاهر الذي كان بليغًا في كل شيء، وحكيمًا عندما يُستنطَق بالحق،

وواضحًا عند الرأي، أمّا عندما يتعلّق الأمر بها وبطلب يدها كزوجة، كان الصمت، وكان السكون، وتبقّى الشوق لتحقيق الحلم في الحلال، ويأتي من بعده الألم.

كأنّي أراها وهي تسير بهدوء في بيت كَستهُ الهيبة، وسكنته الرّحمة،

وأضاءه وجه أبيها ﷺ تتنقّل على أطراف أصابعها برقّة كالفراشة، فتطير مسرورة لتحلّق حوله، فتقبّل كفّه الشريفة، فيحتويها بحضنه ويُسمِعها أجمل الدعاء، فهي من شدّة برّها به ورضاه عنها وحبّه لها لُقبت بـ (أم أبيها).

قاربت حبيبتي الآن الثامنة عشر من عمرها، ما أجملها! والكلّ يعلم من هي تلك الزّهراء الشّريفة (فاطمة)، أقبل الخاطبون على الرسول ﷺ يطلبون يدها، تقدّم

إليها (أبو بكر)، ثم تقدّم (عمر) f ، ولكن رسول اللّه ﷺ ردهما ردًّا لطيفًا؛ لعلّه يرجو لها زوجًا يراه الأنسب؛ إنه (عليّ)، الّذي كان يراقب من بعيد وقد تسارعت أنفاسه تارة، وحبسها تارة، واختنقت تارة، حتى ثار قلبه واعتصم بين أضلاعه، وهتف مطالبًا لسانه الطيّب المُطيّب أن ينطق، ويطلبها زوجة شريفة عفيفة، فتقرّ عينه وتقرّ عينها.

وتشجع (عليّ) وأخذ طريقه إلى ابن عمه ﷺ فاقترب وهو مرتبك، ولا زالت دقّات قلبه تدقّ وكأنّها طبول الحرب الّتي شنّها قلبه المُحبّ على هذا الصّمت، ثم جلس قريبًا منه على استحياء، وهربت الكلمات، وتجمّد لسانه، ونسي حاجته، وأدرك النبي ﷺ أن الحياء عقد لسان

(عليّ)؛ فنظر إليه برحمةٍ وتَبسّم، وأقبل عليه يسأله في تلطفٍ ليطمئنه:

- ما حاجة ابن أبي طالب؟

أجاب بصوت خفيض، وهو يغضّ من بصره:

-ذكرتُ فاطمة بنت رسول اللّه ﷺ.

انسحبت الكلمات مرة أخرى، وأسرعت تسابق الضلوع والأنفاس، لتكون أوّل من يحتضن قلبه الحائر وهو يرتجف.

ومرَّت لحظات خاطفة آلمته كثيرًا، لكنها رحمة الحبيب ﷺ .

الذي قال، ولا يزال على بشره وتلطفه:

-مرحبًا وأهلًا.

مرحبًا وأهلًا، فلتسعدي يا دقّات قلبي، ولتهنئي يا أضلعي.

نزلت هذه الكلمات بردًا وسلامًا على قلب (عليّ) d ؛ فلقد فهم منها أن رسول اللّه ﷺ يرحب به زوجًا لابنته، وكانت تلك البداية.

فلمّا مرت أيام، ذهب إلى رسول اللّه ﷺ وكرر طلبه إليه، وتمّ الزّواج، وكان صداقها ومهرها درعًا حطمية كان يملكها (عليّ)، بسيط جدًا!

لم يطلب النبي ﷺ الآلاف، ولم تقم لزفافها الليالي الملاح، ولم يقم الحفل في فندق مشهور، ولم ترتدِ فستانًا أبيضَ مرصّعًا بالجواهر، ولم تقارن نفسها بفلانةٍ أوبعلّانة، ولم يُجهَّز البيت من الإبرة إلى الصّاروخ!

فالأمر أبسط وأشرف من هذا؛ فهي ليست سلعة، والزواج ليس صفقة، وهي ملكة تُطلَب لتتوج في بيت زوجها. فرح الجميع لهما، وكيف لا يفرحون والعروس حبيبة الرسول ﷺ وقرّة عينه! فأقام الأنصار وليمة احتفالًا بزواج (عليّ) و(فاطمة).

طيبٌ وروائح زكية تفوح في يوم الفرح والسرور، ووليمة يجتمع عليها الناس؛ ليشاركوا العروسين أفراحهما، هذا هو جو العرس الإسلامي.

وتمَّ الزفاف في بيت غابت عنه الثريات الثمينة، ولم تُفرَش أرضه بالسجاد الفاخر، ولم تُزَيَّن جدرانه بلوحات مزيَّفة، حتى أركانه لم تُحنّط فيها التحف العتيقة، بسرير ووسادة من أدم حشوها ليف، وإناء

للشرب من الجلد وقربة، هذا هو بيتهما، وما أطهره من بيت شريف!

ذهب رسول اللّه ﷺ إلى العروسين، فدعا بإناء فتوضّأ فيه، ثم أفرغه على (عليّ)، ثم قال:

- اللهم بارك فيهما، وبارك عليهما، وبارك لهما في نسلهما.

وجاءت فاطمة تمشي على استحياء، تتعثّر في ثوبها من شدة الحياء، فنضح رسول اللّه ﷺ عليها من ذلك الماء ودعا لها، ثم قال:

- يا (فاطمة)، واللّه ما آلوت أن زوَّجتك خير أهلي. هذا رسول اللّه الأب الإنسان يبارك زواج ابنته، ويؤكّد لها أنّه اجتهد في الاختيار لها، وأنّه اختار لها خير أهله.

وخيّمت السعادة على بيت فاطمة، ومرّت أيامٌ حلوةٌ، ولحظاتٌ جميلةٌ، وتبسّمت الأيام لهما، فولدت لعليّ (الحسن)، و(الحسين)، و(أم كلثوم)، و(زينب)، وفرح الأبوان بالأولاد، كما فرح بهم رسول اللّه ﷺ

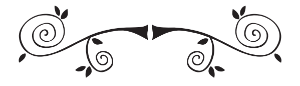
وكانا.. وكانتا قرّة أعين للبيت النبوي الكريم.

هكذا تكون العروس، وهكذا العرس..

فكوني كـ (فاطمة)؛ ليأتيكِ زوج صالح كـ (عليّ).

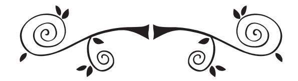
كوني مثلها في حيائها، وإيمانها، وبرّها بأبيها، وطاعتها لزوجها، وصبرها على خدمته، ويسِّري زواجكِ عندما يأتيكِ من يستحق، وكوني من أصحاب القلوب الخضراء، التي لا تنبت فيها أزهار الحبّ إلا إن سُقِيَت بالحلال.
كوني مثلها..

كوني صحابيّة.



٥

بُستان الحب



(الثراءُ نعمةٌ، والمالُ خيرٌ)، هذا ما كانت تعلمُه حبيبتُنا يقينًا وهي تتجوّلُ في حديقةِ بيتِها الكبيرةِ، تسير بتُؤَدَةٍ وحولَها الصغارُ بضحكاتِهم البريئةِ، وهم يتنقلون في البستان، والتي أسعدت قلبَها فتبسَّمت وأشارت إليهم، كانت تُراقب الثّمار وهي تتدلّى من الأشجار كاللآلئ الثّمينة، لوحةٌ ربانيةٌ أبدعَها الخالقُ سبحانَه، تُجبِرُك روعتُها أن تقولَ: سبحانَ اللّه!

مدّت يدَها وقطفَتْ ثمرةً، واستمتعَتْ عيناها قبل لسانِها؛ فحمدَتِ اللّه.

يمرُّ النهارُ وزوجُها يغيبُ، لكن السعادة لا تغيبُ أبدًا عن الدار، وحتى قلبُها الصغيرُ أصبح يتّسع بالحبِّ،

ويتمددُ ليسَعَ الجميعَ كما يسَعُ هذا البستانُ مئاتٍ من النّخلات التي يطمع كلُّ تجارِ المدينةِ في تمورِها الرّائعة، ويتحدّثون عن روعةِ هذا البستانِ والقصرِ وكلِّ ما حولَه، لقد أحبَّت حقًّا هذا البستانَ كثيرًا.

وأتَتْ لحظاتٌ مرَّت لتشهدَ (كما شهِدت الملائكةُ، وشهِدَ كلُّ مَن كان هناك) هذا الحدثَ.

موقفٌ تساقطَتْ فيه دموعٌ طاهرة، وسُمِع صوتُ بكاء!!

حيث مرَّ زوجُها (أبو الدَّحَداح) على النبي ﷺ فسمِعَ بكاءَ غلامٍ

عَلِمَ أنه يتيمٌ؛ فَرَقَّ قلبُه له، ووقف مهتمًا لأمره وأراد أن يخفف عنه.

قال اليتيم بكلماتٍ غلب عليها البكاءُ ومزَّقها الحزنُ:

يا رسولَ الله، كنتُ أقومُ بعملِ سورٍ حولَ بستاني، فقطع طريق البناء نخلة هي لجاري، طلبت منه أن يتركَها لي أو يبيعَني إياها، فرفض.

طلب النبيُّ ﷺ من الصحابةِ -رضوان الله عليهم- أن يأتوه بهذا الجارِ ليسألَه، فأتى الجارُ وسألَه الرسولُ أن يتركَ له النّخلةَ أو يبيعَها له؛ فهو يتيمٌ، وهذه مجرّد نخلة، لكنه رَفضَ.

وعادت الدموعُ لعَينَي اليتيم، ونقل نظراته المتوسّلةَ لوجه النبيِّ الكريمِ وانتظرَ، فأعاد الرّسولُ ﷺ قولَه:

- بِع له النخلةَ ولك مائةٌ في الجنة.

سكت الجميع والكل ينتظر بعد هذا العرضِ الكريم والبشرى الرائعةِ أن يوافق فورًا، لكنه رفض. عمَّ الحزنُ واليتيمُ يبكي، وجلس الجارُ تحيطُهُ نظراتٌ متعجبةٌ وأخرى مستنكرةٌ ومعاتبةٌ، لكنّه لم يغيّر رأيَه؛ فانتفض قلبُ (أبي الدحداح) وطمع في الجنة، فسأل النبيّ ﷺ:

-أئِن اشتريتُ تلك النّخلة وتركتُها للشاب، ألي نخلةٌ في الجنة يا رسول الله؟

فأجابه النّبي ﷺ وهو مستبشرٌ به:

- نعم.

فقال أبو الدحداح للرجل:

-أتعرفُ بستاني؟

فقال الرجل:

- نعم.

فقال له:

- بِعني نخلتَك مقابلَ بستاني.

وتمَّتِ البَيْعةُ، وانطلق راكضًا تسبق دقاتُ قلبه خطواتِه الواسعةَ، مناديًا زوجتَه الحبيبةَ بصوتٍ متقطِّعٍ رددته أجواء المدينة فرحًا بهُتافِه:

يا (أمَّ الدحداح)، اخرجي من البستان؛ فهو لله.

أسرعت لتغادر البُستان، ونفضت كفَّها من ثِماره، ومسحت بقايا القَضمات من على أفواه صغارها، وقلبها يردد مخبتًا (لبيك يا الله)، وصاحت مجيبةً، وطائعة لربِّها قبل أن تطيع زوجَها، دون أن تسألَ

ودون أن تعترض، وبنفسٍ راضيةٍ هتفت مؤيدةً له على قراره؛ لأنها تعلم يقينًا أنه لوجه اللّٰه، وقالت بثقةٍ:

- ربِح البيعُ أبا الدحداح، ربِحَ البيعُ.

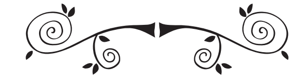
وخرجت حبيبتُنا من بستانِ الدنيا، وانتقلت لجناتِ الآخرة.

فيا لَها من صفقةٍ ناجحةٍ! ويا لَها من زوجةٍ راضيةٍ! أعانَت زوجَها على عملٍ لوجه اللّٰه، ولم تلمْهُ على قرارِهِ، وحتى إن كان قلبُها معلقًا بالبستان.

فاخرجي حبيبتي من بساتين الدنيا مهما كانت فاتنةً وتصدَّقي بشيءٍ تحبينَه، وقدِّميه بينَ يَدَي اللّٰهِ بنفسٍ راضيةٍ، وتقدَّمي لبساتينِ الآخرةِ.

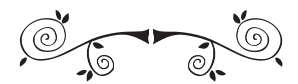
وكوني مثلَها..

كوني صحابيّة.



٦

رحيقُ الحب



للحب الحلال رحيقٌ حلوٌ، وله زهورٌ عطرُها ثمينٌ عَتَّقَتْه أشواقُ المحبين، لا تنسكب زجاجاتُه أبدًا إلا على كفوف أصحابها، وهكذا هي زهرتنا الطاهرة، أمُّها خديجةٌ، وأبوها النبيُّ ﷺ

إنها (زينبُ) g .

كبرت زينبُ فزوَّجَها النبيُّ ﷺ من ابن خالتها (أبي العاص ابن الربيع)، فأزهر قلبُها وصار لحبها رحيقٌ، وبُعث النبي ﷺ وجهر بدعوته، فأراد الكفار إيذاءه فيها، فاجتمعوا وذهبوا لأبي العاص، وعرضوا عليه أجمل بناتهم ليتزوجها ويطلّق زينب، فالتفت إليهم قائلًا:

- واللّه ما أطلِّقها وما أفارقها أبدًا مهما عرضتم عليَّ من بنات العرب.

وكيف يتزوج غيرها وقد ذاق رحيق الحبَّ؟

ودارت الأيام، وهاجر النبي ﷺ وبقيت (زينب) مع زوجها الذي لم يسلم بعد، وذهب مقاتلًا في غزوة بدر، فوقع أسيرًا، وأرسل أهلُ مكةَ المالَ فداءً لأسراهم، وجمعت هي ما تقدر عليه، حتى تلك القلادة التي أهدتها لها أمُّها (خديجة)، وأرسلَتْها معهم، ووُضِعت أمام النبي ﷺ، فعرف القلادةَ ورقَّ لها رقةً شديدةً وتذكّر زوجتَه، وعرف الصحابة ذلك؛ فقرروا أن يطلقوا سراح (أبي العاص)، ويردوا إليه ماله والقلادة، بعد أن وعدهم بأنه سيطلق سراح زوجته لتهاجر لأبيها، وعاد لمكة حاملًا ذكرياتِ حُلوةٍ جمعتْها قلادةٌ حررتْه من أسرِه، لكنها أَسَرَتْ فؤادَه، وهاجرت زوجتُه للمدينة تحمل في أحشائها جنينًا فقدته في الطريق، وتحمل في صدرها قلبًا جريحًا لا يكفّ عن الأنين.

ودارت الأيام والحب لا يزال أسيرًا، وخرج (أبو العاص) للتجارة، فوقعت قافلتُه في أيدي المسلمين، ففرّ هاربًا يبحث عن بيتِ (زينبَ)، وطرق بابها وهو لا يدري هل هذا صوتُ طرقاتِه على بابِها أم هو صوتُ دقاتِ قلبِه المشتاقِ، واستجار بها؛ فآوته لبيتها وخرجت للمسجد صارخةً لتعلن أنها أجارَتْه، فأقبل النبي ﷺ عليها بحنان قائلًا:

-يا بُنيتي، أكرِمي مثواه ولا يقربنّكِ؛ فإنكِ لا تحلِّين له.

فالتفتَت في حياءٍ وقالت:

-إنما جاء يطلب مالَه.

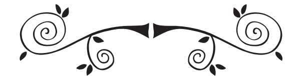
وانطلقت في طريقها، طائعةً لربها ولأبيها حتى وهي مشتاقةٌ لحبيبِها، تلملم رحيقَ الحب وتحبِس الأشواقَ، وترفع الابتهالات لربٍّ رحيم أن يَهديَ حبيبَها للإسلام، ووصلت أخيرًا ووقفت أمامَه، وأبَتْ زهرتُنا أن تتفتحَ، وعفَّتْ أن تسكبَ عطرَها الطاهرَ؛ فهي لا تحلّ له وهو

لا يحلّ لها، فعاد هو بالمال لمكةَ وهو يتفكرُ طوال الطريق في عظمة هذا الدينِ، وأعاد الأموال لأصحابها وانطلق عائدًا، ودخل على النبي ﷺ جاهرًا بالشهادتين، وأخيرًا حلَّ الربيعُ وتفتحَتْ زهرتُنا وتعطَّرَ كلاهما بالحب الحلال.

وكذلكِ أنتِ حبيبتي، فلتحفظي رحيقَ الحب حتى يأذنَ اللهُ ويأتيكِ زوجٌ صالحٌ، وحتّى وإن تقلَّبَتِ الأشواقُ في صدرك، فاحفظي نفسَك، كما حفِظَتْها (زينب).

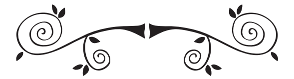
فكوني مثلَها..

كوني صحابيّة.



٧

الحنانُ الدافئ



تتشابهُ الليالي وتتطابقُ الأمسياتُ، إلا تلك التي يكون لنا فيها ذكرى حلوةٌ، ضحكةٌ مع شقيقتِك، ورأساكما متلاصقتان، همسةٌ منها بمزحةٍ خفيفةٍ وأنتما ترتبانِ المنزلَ، حنانٌ يتدفّقُ ربما بمِسحةٍ على رأسِكِ من كفِّها الطيبِ وأنتِ حزينةٌ، أو بفيضٍ من عطاء عندما تهديك شيئًا مميّزًا، أو تقتسم معك شيئًا آخرَ، أو تؤْثركِ على نفسها وتخصّكِ بشيءٍ تحبّه لكنّه أعجبكِ. وربما يطول ويحلو السهر وتولَد الحكايا من حكايا، وتتشابك الأحلام ويظلل عليكما الوئام.

هكذا هي الحياة عندما تكون لك شقيقةٌ، قطعةُ حلوى أنيقةُ معجونةُ بأصفى وأنقى المشاعرِ، ومزيَّنةٌ بالحب،

وهكذا كانت حبيبتُنا تعيش تلك اللحظات الحلوة مع أختها في بيتٍ شريفٍ، كان فيه نورٌ عظيمٌ.. بل نوران عظيمان.

حديثُنا الآن عن الحبيبةِ (أمِّ كلثوم) بنت النبي ﷺ.

وُلدَت (أمُّ كلثوم) قبل البَعثة بست سنوات، وكانت المولودةَ الثالثةَ في زمنٍ وبيئةٍ مفتونةٍ بإنجاب البنين، فرح بها النبيُّ ﷺ وزوجته الحبيبة أم المؤمنين (خديجة)، ومرّت الأيّام وكبرت البنات، ولما بلغت (أم كلثوم) وأختُها (رقيّة) f مبلغَ الزواجِ، خطبهما ابنا عمّ رسول الله ﷺ، عبد العزى (أبي لهب)، وتمت الخطبة وفرحتا معًا، لكنهما، وبعد بعث النبي ﷺ ودعوته للإسلام، كانتا أولَ موطنٍ لجأ إليه كفارُ قريش ليؤلموا رسول الله ﷺ وليؤذوهُ في بيتِه.

طرق باب بيت النبي ﷺ أحد الرّجال في وقت الظهيرة، وهو وقت قلما يتزاور فيه الناس؛ لشدّة حرارة الشمس، وسريعًا ما انتشر الخبر؛ لقد طلق (عتبة وعتيبة) بنتي النبي ﷺ صُدِمَت البنتان بالنبأ، فقد

كانتا تستعدان للزفاف، ولكنّ أمّهما سارعت لتضمهما إلى صدرها، واحتوتهما بقلبها الكبير، وثبتتهما.

صبرت الحبيبة أم كلثوم، وتصبّرت بأختها، ومرت أيامٌ وتزوجت رقيةُ

وهاجرت إلى الحبشة، وفارقت لأولِ مرةٍ توأمَ روحِها وشقيقتها الحنونةَ أمَّ كُلثوم، التي التفتت لتجدَ أختَها الصغيرةَ (فاطمة) تُطالِعُها بنظراتِها الحلوةِ البريئة، فاحتضنَتْها واحتوَتْها بحنانِها الدافئِ، وصارت الليالي ساكنةً إلا من ضَحِكات أختِها الصغيرةِ. ومرت أصعب أيّامها عليها وهي مع أبيها وأمها، وهم مقاطعون مع بني هاشم في شِعب أبي طالب، فعانت من الجوع والحصار، وصبرت وثبتت على الإيمان والإسلام، ورعت أمها وأباها، ولم تشكُ ولم تئِن؛ بل كانت وتدًا في البيت يتكئون عليه، ولمسةً حانيةً تُعين كلَّ من يسكن في بيت النبوّة، ثُمّ أتى يومٌ حزينٌ تألمت فيه مع أبيها ﷺ، وهما يراقبان المجاهدةَ العظيمةَ أمَّ المؤمنين (خديجةَ) وهي تلفَظُ أنفاسَها الأخيرةَ، فكانت ضربةً قاسيةً على ظهرِها

آلمَتّها بشدةٍ، لكنها ظلت على صبرها وأكملت رحلتها في بيت أمها وسارت على مِنهاجِها، وفعلت ما كانت تفعله، فَرَعَتْ أختَها (فاطمةَ)، ووقفت بجوار أبيها ورعَتْه ببرِّها وحنانِها الدافئ، وتألّمت لألمه، حاولت أن تظهرَ بمظهرٍ قويٍّ على الرغم من رقتها وهشاشة قلبها، لكنها لم تتمكن من حبس دموعها وهي ترى والدها الحبيب ﷺ.

وهو يدخلُ عليها وقد نَثَر أحدُ الكفار الترابَ على رأسه، فركضت تزيله وتنفضه عنه وهي تبكي، وهو يصبرها قائلًا:

- لا تبكِ يا بنية، إن اللهَ مانعٌ أباك.

ومرضت (رقية)، وأتت لحظة وفاتها، ليتجدد الحزن في قلب أختها وحبيبتها (أم كلثوم)، فصبرت على فراقها كما صبرت على فراق أمها (خديجة)، وظلت صابرةً متماسكةً في بيتِ أبيها تحتوي أختَها (فاطمةَ) بحنان، وتعين أباها وهي شاكرةٌ لله. ولا نعجب أن كانت

هي النور الثاني الذي أضاء في بيت سيدنا (عثمان بن عفان)

بعد وفاة زوجتِه (رقية) بعام، عندما كان يسير مهمومًا لانقطاع الصِّهر بينَه وبينَ النبي -ﷺ فيزوجه النبيّ ﷺ من (أم كلثوم)، فتقَرُّ عينُه بها وتقَرُّ عينُها به. وبقيت مع زوجها ستَّ سنوات، ولم تُنجِب، فصبرت على هذا ولم تَئِن ولم تتوجعْ، وظلت على إيمانها وثباتها.

ويأبى الصبر أن يرحل إلا بعد أن يوقِّعَ مؤكدًا أنه كان رفيقَ دربِها، وأنها كانت رايةً له، فداهَمَها المرضُ، وصارت تتألّم وهي طريحةُ الفراش، والنبي ﷺ يراقبها بقلب ينفطر عليها، ورحلت بهدوءٍ؛ فحَزِنَ عليها حزنًا شديدًا، وكفَّنَها بإزاره، وجلس على قبرها يبكي، يبكي فراقَ القلب الحنونِ، بكاها زوجُها، وبكت فاطمةُ، ماتت حبيبتُنا أمُّ كلثوم، ماتت صاحبة الحنان الدافىء.

أكاد أراك حزينة يا ابنتي؛ ربما لأنك فقدتِ أمًّا، أو أختًا، أو طُلِّقتِ ربما، أو عانيتِ أيامًا من ضيق، أو ربما قليلًا من الفقر، أو لم تنجبي، أو ربما أنتِ مريضةٌ،

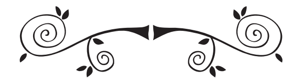
ولكن أن يجتمع كلُّ هذا في قلبٍ واحدٍ يتألم ويظلُّ يبعث نورًا ويفيض حنانًا، ونظلُّ نذكره ونشعر بهذا الحنان الدافئ، بينما تحتضننا حروفُ قص صاحبته وكأنها أطلت علينا بملامِحها الطيبةِ وابتسامتِها الحنونةِ، فهذا هو العجيب!

أحبِّيها كما أحببتُها، أحِبِّي بنتَ النبي ﷺ أحِبِّي (أمَّ كلثوم).

وأيًّا كان ابتلاؤكِ فاصبري مثلها، ولا تحرمي مَن حولَكِ من هذا (الحنان الدافئ) الذي يظل باقيًا أثرُه حتى وإن غبتِ أنتِ، اصبري حبيبتي..

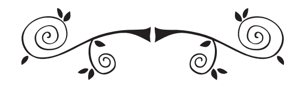
وكوني مثلَها..

كوني صحابيّة.



٨

هي والقمر!



أكادُ أراها وهي تسير بوهَن بجوار زوجها الحنون على الرمال الساخنة، يدها في يده، ويُظلِّل على جسدها الضئيل بقامته الطويلة.

يتبادلان الركوب على الدابتين فيسيران بجوارهما -أحيانًا- رفقًا بهما، وصغيرها يتوسَّد صدرها، باكيًا بعد أن قرصه الجوع، كيف ستحتويه وترضعه وحالها كحاله؟

من أين ستُمطر السحابة وقد هجرها ماء المطر؟

كفُّه الحانية تمتد فجأة لتربِّت على كتفها؛ لتنفض الظنون عن رأسها المتعب، يخدّرها عطفه وحنانه عليهما؛ فتنسى كل شيء وتأنس بجواره.

أيُّ جفاف هذا!

سنةٌ قاحلة مجدِبة أيبست الزرع، وأهلكت الضرع، البطون جاعت، والنفوس تيبَّست، وها هي علاماتُ اليأس والألم قد كستْ وجهَها ووجه زوجها. على دابتين هزيلتين مسنَّتين لا ترشحان بقطرة من لبن، ركِبا يطلبان ما يطلب غيرهما، وللكل نفسُ الهدف.

ما زال الصغير يبكي؛ فقرصةُ الجوع مُوجعة، وما زال يحنو عليهما، ويربت على ظهر صغيره وكتفه. ضجرَ منهما الرفاق؛ فهما أبطأ مَن يسير بهاتين الدابتين الهالكتين، فشق عليهما الأمر، نظرات الضجر، تأفُّف النساء، حركات الرؤوس وهي تتعجب من الصغير الذي لا يتوقف ليلَ نهارَ عن البكاء! ونظرات التعجب من الرجال لزوجها؛ لماذا يحبُّها على فقرها؟

ونظرات الفضول من النساء إليها؛ لماذا تحبُّه على فقره وبساطةِ حاله؟ حتى عيناها جفَّتا فلم تستطيعا البكاء، لكن رؤية زوجها الحبيب يعاونها رطَّبتهما؛ فأغمضت عينيها للحظات وتصبَّرت وارتوت.

وصلت أخيرًا، فهرولت تتنقل بين البيوت؛ عسى أن تسبق رفيقاتها لباب دار أحد أثرياء مكة؛ فتفوز بغلام فترضعه، وتُسعد أهلها وولدها، ويعمَّ الخير.

لم تجد إلا يتيمًا زهدت فيه بعد أن همست لزوجها: «ما عسى أن تنفعنا أمُّ صبي لا أبَ له!» تركاه وانصرفا.

ظفرت كل امرأة بصبي؛ فكلٌّ منهن تجيد الكلام، والعرض، والطلب، والابتسام، وأما هي فحالمة و(حليمة)، سبقتها خطواتهن، وغلبتها مهارتهن، وبقيت تحتضن رضيعها وترتجفُ وتتلفت يمينًا ويسارًا، تقبض على ثيابه وهي حائرة، تتساءل في نفسها وهي تراقبهن: لماذا لستُ مثلهن؟!

أوشكا على الرحيل، فحانت التفاتة من زوجها الذي كانت تسير بحياء خلفه - وهي تشد ثيابها متسترة بها - والذي احتضن وجهها بمقلتيه، وقال بصوت رحيم: «لا بأس عليكِ! خذيه؛ فعسى أن يجعل الله فيه خيرًا».

نعم، يتيم لا أب له، ولكن ما ذنبه؟ وهل الرزق من جدِّه أم من ربِّه؟ وهل الحبُّ والرحمة صارا حصرًا على الأغنياء فقط؟ سبحان الرزاق!

فعادت على استحياءٍ، واحتوته بين يديها، ووضعته في حجرها؛ حتى لا ترجع خالية الوفاض، فتتشمت بها النساء، وتعود مكسورة الخاطر، فإذا بالقمر بين يديها!

تعلَّقت مقلتاها بوجهه المشرِق؛ فنسيت كلَّ ألمٍ ألمَّ بها، وكستها هيبة لا تعرف من أين أتتها، وكأنه على صِغر ذراعيه وكفَّيه احتضنها واحتواها، حتى اطمأنَّت وسكنت... هي والقمر!

لاحت ابتسامة خفيفة على شفتيه الطاهرتين ببراءة فملكت فؤادها! وسكن صغيرها الذي مزَّقه البكاءُ أيضًا بجوارها.

أوَّاه! يا حبيبي يا رسول الله، أيُّ طُهرٍ وجمال ونقاء ونور خُلِقت منه!

اشتقنا يا رسولَ الله!

رزقٌ وفير، ولبن طيِّب مطيَّب، رُزِقه الحبيب، فرضع -عليه السلام- حتى ارتوى، ونامت عيناه الشريفتان، بعد أن لامس وجهها بكفِّه الصغيرة، ورضع صغيرها الذي توقفت الآن فقط عنه قرصةُ الجوع! فنام كلاهما، واضَّجعت وزوجها بجوارهما، وهما في ذهول!

أليس جميلاً؟

بلى، هو جميل.

انظر ابتسامته.

ما أحلاها!

هل شمَمْت رائحته؟

نعم، كالمسك!

مسحت بكفِّها على وجهه، ويا له من شرف! ووضعت إصبعها في كفِّه الصغيرة فقبض عليها بحنان، قرَّبت وجهها من وجهه، ولامست أنفَه بأنفِها، وتنفَّست الطُهرَ بعد أن جال بصدره، ويا له من شرف! ويا لها من بركة! رائحته حلوة كحلاوة روحه ونفَسِه ﷺ وهو رضيع.

ثم حانت من زوجها التفاتة إلى ناقتهما المُسِنَّة العجْفاء، فإذا ضرعاها حافلان ممتلئان باللبن!

حليمة، أترين ما أراه؟!

فقام إليها دَهِشًا! وهو لا يصدّق عينيه!

حلب لبنها وشرب، وحلب لحبيبته (حليمة) فشربت معه، حتى امتلأ كلاهما رضًا وريًّا وشِبَعًا، وباتا في خيرِ ليلة.

فلما أصبحَا وأشرق وجهُ الحبيبِ ﷺ عليهما، تأمّلا نورَ وجهه الشريف وهو يطالعهما ببراءة، وعلى شفتيه الطاهرتين ابتسامة حانية! مال زوجُها عليها، وهمس بحبٍّ قائلًا:

أتدرين يا (حليمة)؟ إنك ظفرتِ بطفل مبارك؟

فقالت وما زالت مقلتاها لا تفارق وجه الحبيب ﷺ:

إنه لكذلك، وإني لأرجو منه خيرًا كثيرًا.

ثم خرجا من مكة على دابتيهما الهزيلتين، وحملت (حليمةُ) الحبيبَ، واحتوته بيديها، وقد بدأت تتعلّق

به -وكأنه قطعة منها- وإذا بالدابَّة تُسرع وتتقدَّم كلَّ الدوابِّ الأخرى، وكلٌّ من معهما يتعجَّب! وهي تضحك، وزوجها يضحك.

يا اللّه! أيُّ كرمٍ هذا! وأيُّ بركة حلَّت بنا!

وكيف لا تقع البركة على من يرحم يتيمًا لا أبَ له؟!

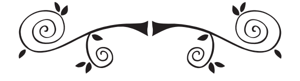
عادت لمنازلها في بلاد بني (سعد) -أشدُّ البلاد قحطًا، وجدبًا، وفقرًا- لكنها عادت بالحبيب!

كانت غنماتُها تغدو كلَّ صباح فترعى، ثم تعود في المساء فيحلبون منها، ويشربون، ويشبعون، وما يحلب غيرهم قطرة! حتى إنَّ بني قومها كانوا يصرخون، وينصحون رُعيانهم أن يتّبعوا بالأغنام غنماتها؛ ليسرحوا حيث تسرح، يأكلون من حيث تأكل.

ومرَّ عامان، حلَّت فيهما السعادة والبركة على زوجةٍ صالحة؛ لأنها رحِمت يتيمًا مباركًا؛ فاحتضنته، وأرضعته، وأحسنت إليه بعد أن شجَّعها زوجها ونصحها؛ فرحماه معًا؛ فرحِمهما اللّه.

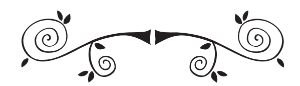
وهكذا ستحلُّ السعادة والبركة عليكِ، إن رحمتِ يومًا يتيمًا في بيتكِ، تطعمينه مما يَطعَم صغارك، وتلبسينه مما يلبسون، وتضحكينه كما يضحكون.

أو ربَّما أنتِ من هؤلاء اللاتي لم يكتب الله لهنَّ - برحمته وحكمته- الإنجاب، وهو ابتلاء عظيم لن ندركَ حكمتَه؛ لأنَّنا لا نرى بأعيننا (لطف الله الخفي)؛ حيث لا نملك أن نرى ما يراه سبحانه، لكنك تملكين احتواءَ يتيم أو يتيمة، فكما أن الأمومةَ عطاء من الأم، فهي حلوة ولها لذَّة أخرى عند احتواء يتيم، لذَّة عطاء ورقّة قلب، ذاقتْها حليمة في قلبها عندما كانت... هي والقمر. كوني مثلها، كوني مثل (حليمة)، كوني صحابية!



٩

الياسمينة الحلوة



لم تكن تعلم أنها ستحبُّه هكذا؛ فكلُّ لحظة تمرُّ وهو أمامَها بوجهه الطيِّب تزيدها عشقًا وحبًّا له! حتى وهما ما زالا في أول أيام زواجهما، هي تشعر أنهما يعرفان بعضهما البعض منذ زمن طويل، نظراته الحنون، وصوته الدافئ، ومحيَّاه الطيب، وخُلقه الجميل. كانت عيناها لا تغادران صفحة وجهه وهو يُخْبِرُها بموعد السفر:

- سنرحل اليومَ يا حبَّة القلب.

حملت بعض الثياب والكثير من الأمل، ارتبكت قليلًا، لكن كتفه القوية أشعرتها بالأمان:

لا تخافي؛ سنرحل معًا.

ارتدَت ثوبًا خشع على بدنها، وتستَّرت بجلبابها، وسارت بحياءٍ تتحرَّى موضع قَدَمِه لتضع قدمها مكانه حبًّا وطاعةً، وكيف لا؟ والقلب يتبع القلب! وقد سكن قلبُها لديه d ، إنها أسماءُ بنت عميس، تلك الشريفة التي هاجرت بدينها مع زوجها جعفرٍ إلى الحبشة، في فضاءٍ واسعٍ تسابقت ذرّات الرمال لتَلْثِم أقدامهما الشريفة، التي حملت التوحيد بوجلٍ في قلبها لتهاجر به.

حرارة شمس النهار لم تحجب وجهه المستضيء عن عينيها، وظلمة الليل لم تنجح في ابتلاع ملامحه الوضّاءة، وكيف تخفي الظلمات وجهًا يشبه في خَلْقه رسول الله ﷺ ؟!

وذاقت حبيبتنا الرقيقة مرارةَ الغربة القاسية ولَوْعتها، وتصبَّرت وربطت على قلبها، كانت حلاوة الخشوع، ولذّة الإيمان، وروعة آيات القرآن، سَلْوتَها وسلوته في الليالي الطوال، بعيدًا عن الأهل والأحباب والوطن.

وأراد اللّه أن يلطف بهذا القلب الأخضر، فرُزِقت الحبيبة من زوجها بصغير كان أول صبيانها، إنه (عبد اللّه) أول الفرحة.

كسَتِ البهجة وجه (جعفر) وهو يحمل ابنه بين يديه، إنه يشبهه، يشبه أباه، وأبوه يشبه الحبيب ﷺ تذكره وهو ينظر إليه ويقول له:

((أشبهتَ خَلْقي وخُلُقي))

يا حبيبي يا رسول اللّه!

ازداد شوقُه للقاء النبي ﷺ فكلما أطلَّت عيناه على ولده اشتاق له، وكلما تطلعت (أسماء) بعينيها بين زوجها وولدها تذكرت النبي ﷺ، فاشتاقت لشرف جواره وصحبته، البيت كله يشتاق إليك يا رسول اللّه!

ومرَّت الأيام والشوق ما زال يجول هنا وهناك في جنَبات البيت الطيب، ولدَت أسماءُ بعدها محمدًا، وعوْنًا، وانشغلت برعاية حبّات قلبها الثلاث، ولما أمر النبي ﷺ المهاجِرين بالتوجه إلى المدينة، استبشَرَت

وكادت تطير من الفرح، وحملت صغارها وعادت تسير خلف زوجها تبحث عن آثار أقدامه لتضع قدمها مكانها، على خطى حبيبها تسير حبًّا وطاعةً.

وبعد طريق طويل وصل الأحباب أخيرًا، وتقدم جعفرٌ من الرسول ﷺ فتلقاه بالبِشْر، وقبَّل جبهته، وهو يقول: «واللّه ما أدري بأيهما أفرح، بفتح خيبر أم بقدوم جعفر؟» يحبه النبي ﷺ فكيف لا تحب (أسماء) زوجَها وتذوب فيه عشقًا؟!

سعِدت الحبيبة مرةً أخرى وهي تتأمل ذاك الشَّبه الذي بين ابنها والنبيِّ ﷺ فقرَّت عينها بولدها، وفرِحت وتمنّت أن يشبهه خُلقًا، ويا له من شرف!

وكان لا بد من ألم وابتلاء؛ فحبيبتنا عاشت وعينها على الجنة، وما أهل الجنة إلا أهل ابتلاءٍ وصبرٍ وإحسانٍ. توجه جيش المسلمين إلى الشام، وهناك في أرض المعركة اختار اللّه حبيبها وقرّة عينها وأول فرحتها (جعفر) ليفوز بالشهادة في سبيله، ويأتي رسولُ اللّه ﷺ إلى بيتها، وعلى وجهه التأثر..

كانت تشعر أن هناك شيئًا ما! انقباض قلبها، وذاك الخوف الذي يتوسط صدرها ويؤلمها!

سأل النبي ﷺ عن الصبيان الثلاثة، فضمَّهم إليه، وشَمَّهم ومسح رؤوسهم برحمة، وذرفت عيناه الشريفتان الدموع.

النبي ﷺ يبكي! ما الذي أوجعك يا حبيب الله؟!

اقتربت أسماء، والجزع قد ملأ كِيانها، وقد وقع في نفسها ما تخشاه؛ فقالت بوهنٍ:

بأبي أنت وأمي، ما يُبكيك؟ أبلغك عن جعفر وأصحابه شيء؟

قال: نعم، أُصيبوا هذا اليوم.

انفطَر فؤادها، وجُرح قلبها جرحًا بليغًا لفراقِ حبيبها وقرة عينها، فانهارت باكيةً، تبكي الحبَّ والشباب، وتتوجع رُوحها أَلَمًا من الفِراق، وكأن روحه كانت ملتصقةً بروحها، والآن تُسلَخ عنها لترتقي إلى السماء، سكرات موتٍ لكل حيٍّ يفقد حبيبًا، يعانيها وهو ما زال على قيد الحياة!

واساها ﷺ، ودعا لها. صبَرت الحبيبة وتصبَّرت على فِراق زوجها الشهيد، واعتصمت بربِّها، ولملمت جراح قلبها، وطوتها، وربطت عليها بدعوات السحر، احتسبت عند اللّٰه أجر صبرها على فِراق حبيبها وقرَّة عينها، وباتت تتمنَّى الشهادة في سبيل اللّٰه؛ لتفوز بها كما فاز حبيبها.

ويأتي النبي ﷺ مرة أخرى ويسلّم على ابنها:

((السلام عليك يا بنَ ذي الجَناحين))

تدرك أسماء g معنى قول الرسول ﷺ لولدها؛ فقد أبدله اللّٰه بيديه المقطوعتين -وهو يحاول أن يحتضن راية التوحيد بأي قطعة من جسده حتى لا تُهان وتسقط على الأرض- جَناحينِ يطير بهما حيث شاء!

أدركت الحبيبة أن حبيبها يطير الآن في الجنة، لم تجزع ولم تيئَس، بل انكبت صابرةً على تربية أطفالها الثلاثة، ولم تمضِ فترة طويلة حتى خطبها أبو بكر d وذلك بعد وفاة زوجته أم رومان g ولم يكن لأسماء أن

ترفض مِثل الصِّدِّيق، وهكذا انتقلت إلى بيت الصِّدِّيق لتستلهم منه المزيد من نور الخُلق والإيمان، ولتضفي على بيتِه الحب والوفاء، ورُزِقت منه بولد، وكانت الزوجة المخلصة الوفية، تعينه على حمل الأمانة وأداء الرسالة وهو خليفةٌ للمسلمين، صابرةً محتسبةً، ومُحبةً ودودة، وأمًّا رحيمةً عظيمةً، ولكن ذلك لم يدُمْ طويلًا؛ فقد مرض زوجها واشتد عليه المرض، وأخذ العرق يتصبَّبُ مِن جبهته، فأحس -بشعور المؤمن الصادق- بدنوِّ أجله، فسارع بوصيته: أن تُغسِّلَه زوجته أسماء بنت عميس g كلَّفها بالأمانة!

وكان مِن وصيته أيضًا: أن تُفطِرَ في هذا اليوم، وقال لها: (هو أقوى لك)، وشعَرت أسماء بقرب الفاجعة، فاسترجعت واستغفرت، وثبَّتها الله -عز وجل- كما ثبتها من قبل، وهي لا تميل بنظرها عن وجه زوجها الذي علاه الذبول، إلى أن أسلَم الرُّوح إلى بارئها؛ فدمعت العين، وخشع القلب، وانفطر الفؤاد مرة أخرى. لكنها لم تقُلْ إلا ما يرضي الله -تبارك وتعالى-

فاحتسبت وصبرت، ثم قامت بالمَهَمَّة التي طلبها منها زوجها، حيث كانت محلَّ ثقته، فبدأت بتغسيله وقد أضناها الهم والحزن، ونسِيت وصيته الأخرى، وظلت صائمةً، وعندما جاء المهاجرون قالت لهم: إني صائمةٌ، وهذا يومٌ شديد البرد، فهل عليَّ مِن غسلٍ؟

فقالوا: لا.

وفي آخر النهار تذكرت وصيّة زوجها بأن تفطر، فماذا عساها أن تفعل الآن والوقت آخرُ النهار، وما هي إلا فترة وجيزة وتغرب الشمس ويفطر الصائمون؟ فهل تستجيب لعزيمة زوجها ووصيته؟ نعم، أطاعته حتى بعد وفاته، ودعت بماء وشربت وأفطرت وفاءً له! وقالت: واللّهِ لا أتبعه اليوم حِنثًا.

ولِزمت بيتها ترعى أولادها من جعفر ومن أبي بكر الصديق f تضمهم إلى صدرها، وتمنحهم حنانًا وحبًّا بقلب يضمد جراحه بعد انفطاره على الحبيب والزوج مرتين، وتحدب عليهم سائلةً اللّه أن يصلحهم، ويصلح بهم، ويجعلهم للمتقين إمامًا.

ومرت الأيام، وها هو علي بن أبي طالب d أخو جعفرٍ الطيار ذي الجَناحين، يتقدم طالبًا الزواج منها، وبعد تردُّد قررت الموافقة على الزواج منه؛ لتتيح له بذلك الفرصة لمساعدتها في رعاية أولاد أخيه جعفر.

وانتقلت معه إلى بيته، فكانت له خير زوجة صالحة، وكان لها خير زوج في حسن المعاشرة، وما زالت أسماء ترتفع وتسمو في عين زوجها، فعظُمت في نفسه وعينه. أي مكرمة تلك يا حبيبة، ولدا جعفر وابن الصِّدِّيق لديك في بيت علي -كرم الله وجهه-!

وتمر الأيام ويشاهد عليّ d ولدًا لأخيه جعفر يتشاجر مع محمد ابن أبي بكر، وكل منهما يتفاخر على الآخر، ويقول: أنا أكرم منك، وأبي خيرٌ مِن أبيك، ولم يدرِ عليٌّ ماذا يقول لهما! وكيف يصلح بينهما بحيث يُرضي عواطفهما معًا!

فما كان منه إلا أن استدعى أمَّهما أسماء، وقال لها:

- اقضي بينهما.

وبفكر حاضرٍ وحكمة بالغة قالت:

- ما رأيت شابًّا من العرب خيرًا من جعفر، ولا رأيت كهلًا خيرًا من أبي بكر.

وهكذا انتهت المشاجرة، وعاد الصغيرانِ إلى التعانق واللعب، ولكن عليًّا المعجَبَ بحُسن القضاء بين الأولاد، التفَت إلى زوجته الذكية العاقلة، وتأمَّلها بإعجابٍ ونفسه راضيةٌ، وازداد حبًّا وإجلالًا لها.

واختار المسلمون عليًّا d خليفةً بعد عثمان بن عفان d وأصبحت أسماء للمرة الثانية زوجًا لأمير المؤمنين رابع الخلفاء الراشدين f ويا له من شرف!

ثبتت حبيبتنا، وتجلَّدت، واستعانت بالصبر والصلاة على ما ألمَّ بها، فبقيت رمزًا تتعلَّم منه كل امرأة فقَدَتْ زوجها.

عاشت (أسماء) كغُصن الياسَمِين؛ فقد صبرت على الرغم من الإقامة الجبرية على الأرض القاسية عندما استُشهِد زوجها في أول حياتها وهي ما زالت كغصن لينٍ

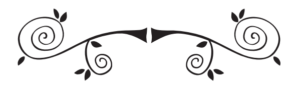
أخضر، وتحملت شحَّ الحياة كما تتحمل شجرة الياسمين شح الماء، وكلما فقدت عوامل الصمود لتكسر أغصانها، رزقها الله ظلًّا تستظل به، فكان زواجها من (الصِّدِّيق) أولًا، ثم من (علي) بعده، رضي الله عنهما وأرضاهما.

لم تمنعها المعاناة وقسوة الحياة وتلك الجِراح التي جنتها مِن منح كلِّ مَن حولها الحبَّ والحنان والرفق والأمان. نشرت حولها رائحةً طيبةً تريح النفس والبال، ومنحت مَن حولها الحبَّ حتى النهاية، وعيناها على الجنة. كوني يا صاحبة الفؤاد المفطور المكلوم على حبيبك كأسماءَ بنت عميس.

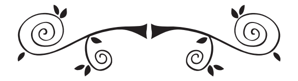
كوني ياسمينة حُلوة على غصنٍ أخضرَ، تشبَّهي بأشجار الياسمين، واثبُتي.

كوني مثلها..

كوني صحابيةً.



١٠
أحضان المحبين



بعض الناس يحنُّ إلى حِضن أمه، وبعضهم يبحث عن حِضن أبيه، وبعضهم يحلم بأحضان وأحضان، وهناك من يشتاق إلى حضن الحبيب ﷺ.

ثمة سكينةٌ ورحمة في غار حراء، بعيدًا عن الناس، حيث كان الجبل يحتضن هذا الغار بوجل وإشفاق، والغار يحن فيحتضن حبيبنا ﷺ فيحتويه وهو يتأمل، ويتعبد، ويتفكر في ملكوت الخالق سبحانه.

نزل جبريل على نبينا محمد ﷺ وترددت كلمات:

﴿وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا﴾.

﴿اقْرَأْ﴾

وكررها الحبيب على الحبيب ثم احتضنه بشدة، والنبي يرتجف! ويرتجف! والموقف جلل، واللحظات رهيبة، ثم أخيرًا تركه ليقول:

﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾.

فنزلت أوّل آية بعد حضن كريم من مَلَك عظيم لأشرف خلق الله ﷺ الذي أحبه جبريل؛ لأن الله يحبه.

(حضن عظيم).

وينتهي ذلك الموقف، ويختفي جبريل؛ فيسرع النبي ﷺ إلى بيته مرتجفًا! مرتعدًا! يتصبب عرقًا! فارًّا إلى حضن زوجته!

زمِّلوني، زملوني...

فتضع أمُّنا الطاهرة خديجة عليه أغطية الصوف، وتمسح العرق عن جبينه، وتحتضنه لتُشعِرَه بالأمان؛ فكان حضنًا آخرَ من زوجة شريفة لزوجها؛ لتطمئنه، وتشعره بالأمان، حضنًا لنبينا الحبيب ﷺ .

(حضن شريف).

غزوة مؤتة، عندما كان زيد بن حارثة d يقاتل حتى استُشهِد، وانطلق جعفر بن أبي طالب d من بعده، فأخذ الراية، وظل يقاتل حتى قُطِعت يمينه، وسالت الدماء، فرأى الراية تَكاد تسقط؛ فأصرَّ أن يُعزَّها ويرفعها، وضمَّها، واحتضنها بشماله، فقُطِعت شماله، فانكبّ عليها وضمّها واحتضنها بعضُدَيْه، حضن عظيم لراية التوحيد بللته دماء الشهيد الطاهرة، حضن بقلب أحب النبي وأحبه النبي ﷺ.

(حضن شهيد).

ووصلت أخبار استشهاده للنبي ﷺ فأسرع لبيته باحثًا عن أبناء جعفر d واحتضنهم، وضمهم إليه، وقبَّلهم وهو يبكي.

(حضن رحيم).

غزوة أحد، إنه أبو دُجانة، الفارس الشجاع، والشاب القوي، والصحابي الجليل، ها هو يربط رأسه بعصابة

حمراء، ويسير مُتبخترًا بين الصفوف، يقاتل بشجاعة، شاهرًا سيفه، تراه فيُعجِبُك وتعجبُكِ مهارتُه، بل أنت ستحبه، وها هو القتال يشتد، وقد أُصيب النبي ﷺ وسالت الدماء على وجهه، وأقبل لحمايته خمسة من الأنصار، فقُتلوا جميعًا، فركض أبو دجانة وشق الصفوف، واحتضن النبي ﷺ وجعل من ظهره ترسًا لرسول اللّه ﷺ يحميه بجسده وظهره وكتفيه، ويتحمل الطعنات، ويكتم الأنَّات! غيرَ مبالٍ بدمائه التي أغرقت ظهره الذي أصبح كظهر القنفذٍ، وقد ملأته السهام، وهو منحن يحمي بدنه الشريف ببدنه، وروحه فداء لنبي الإسلام ﷺ.

(حضن جميل).

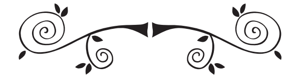
نحري دون نحرك يا رسول اللّه!

قالها أبو طلحة، رافعًا رأسه، محاولًا أن يطيل رقبته ما أمكن ليحمي النبي ﷺ وهو يحتضن بذراعيه أكتاف رفاقه من أصحاب النبي ﷺ، وهم يحلقون حوله عندما حاصرهم المشركون، وأرادوا أن يؤذوا النبي ﷺ.

(حضن جماعي)

تعجز كل الحروف أن تصف حلاوته، أقرأُ فيه أرقى معاني الحب في الله، وكأن قلوبنا هناك معهم، عندما كانت قلوبهم تنبِض في صدورهم الشريفة؛ فتفيض حبًّا للحبيب ﷺ وصلتنا حرارة الشوق إلى جوار النبي ﷺ وكأنهم بين أيدينا الآن، وكأنهم في معانينا ومبانينا وأرواحنا وكلماتنا، وكأننا نحن فيهم، وكأنهم هنا، نتنفس بأرواحهم الطاهرة، ونشعر بحرارة أنفاسهم حولنا، أحببناهم لحبِّهم لنبي الله ﷺ تمنّينا لو أننا بينهم وأنهم بيننا! اشتقنا يا رسول الله، اشتقنا لنورك، ورحمتك، ورؤيتك، وجوارك، وهيبتك، اشتقنا لوجهك.

اللهم، إننا نسألك أن تحشرنا معه، وخلفه، وتحت لوائه، اللهم، إنا نشهدك أننا نحبهم ونحبه ﷺ.

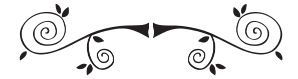




الفصل الثاني

إحساسٌ رائع

١
الفرحة الأولى



لكل شيء بداية، ولكل تجرِبة في حياتنا مرّة أولى: ميلاد طفل جديد، أول خطوة، أول كلمة تنطقها وأنت صغير، أول قطعة حلوى تحبُّها، وأول جائزة تعتَزُّ بها، أول حبٍّ حلال لزوجتك، وأول دقة قلب وأنت تتأملين زوجك، إنها الفرحة الأولى!

لا ندرك أحيانًا أنها المرة الأولى إلا عندما نعود ونتأمل ونفكّر منذ متى ونحن نشعر بتلك الفرحة؟!

نحتاج كثيرًا لِمَن يَلفِتُ أنظارنا إلى أنها المرة الأولى بالفعل! فتهدأ أنفاسنا قليلًا، ونتأمل فندرك... أحقًّا! نعم، إنها المرة الأولى.

وهناك مرَّات أولى للألم وللابتلاء وللوجع!

يا حبيبي يا رسول اللّٰه، تُرى ما كان حالك عندما ارتجفْتَ لنزول الوحي أولَ مرة؟

وكيف كان شعورك وأنت تتأمل أجنحةَ جبريل وهي تملأُ الأفق أمامك أول مرة؟

وكيف كنتَ عندما تسارعتْ أنفاسُك من الركض نحو بستان عُتْبة وشيبة، وأنت في رحلتك إلى الطائف، وهم يقذفونك بالحجارة، ويجرحون قدميك؛ فتسيل الدماء منها أول مرة؟

أجُرِحتَ أول مرة؟ أبكيتَ يا حبيبي يا رسول اللّٰه؟

وكيف كان الوجع في صدرك وأنت صغير، عندما أخبروك أن أمَّك ماتت، أول مرة؟

وهل بكيتَ عندما علمتَ أنك يتيم أول مرة؟

وكيف كانت تبدو ملامحُك وأنت تبكي من خشية اللّٰه أول مرة؟

وعيناك، عيناك الشريفتان كيف كانت نظراتهما وهما تتقلبان في السماء أول مرة؟

وعلامات الألم على وجهك وجبهتك عندما كُسِرت رَباعيَّتك في غزوةٍ أول مرة؟

ودموعك، كيف كانت عندما علمتَ بوفاة حبيبتك خديجة أول مرة؟

بل كيف كان حِضنُك لأبي بكر في الغار، عندما هاجرت معه وحدَكما أول مرة؟

متى ألقاك على الحوض أول مرة؟

ومتى تسقِيني بيدِك الشريفة أول مرة؟

تُرى متى تكون المرة الأولى التي نشعر فيها بمعية اللّه، وأننا اقتربنا حقًّا، وأننا معه؟

ومتى تكون المرة الأولى التي ندرك فيها أن تلك الدمعة التي توشك أن تغادر صفحة وجهنا لتسقط فتبلِّل ملابسنا، أو تهرب منا على الأرض، قد سالت بالفعل من خشيةِ اللّه؟

ومتى تكون المرة الأولى التي نخشع فيها في الصلاة، فنقرأ فيها، وكأننا نقرأ على الله -عز وجل- كلامه، فتغادر أرواحنا تلك المساحة الضيقة في صدورنا؛ لتسبح في ملكوته سبحانه، ثم تعود مع التسليمة الأخيرة؛ لتسكن في صدورنا مرة أخرى، فتهدأ أرواحنا المضطربة؟

متى تُقلِعُ عن الذنب، فتتوب بصدق أول مرة؟

متى تفرُّ إليه؟

متى تكون مرَّتك الأولى على الطريق؟ مرَّتك الأولى التي تشعر فيها بحلاوة الإيمان، ولذة الخشوع، مرتك الأولى التي تكون فيها في معيَّته، ساجدًا له وحدك.

ستكون هناك مرة أولى هناك على الصراط، فلتُعدَّ نفسك للخطوة الأولى.

وستكون هناك مرة أولى في القبر وأنت وحدك.

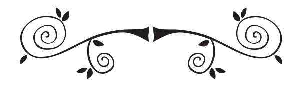
وستكون هناك مرة أولى ترى فيها وجهه سبحانه وتعالى، أن ينادي منادٍ:

يا أهل الجنة، إن لكم عند الله موعدًا!

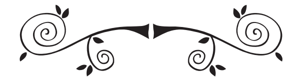
فتغشاك الهيبة! موعد مع اللّٰه، لقاء مع الرحمن -جل جلاله-، ومن أنا حتى ألقاه سبحانه؟!

فتسير في موكب وأنت فَرِح وضاحك مستبشر، وترفع رأسك، وتفتح عينيك التي لم تفتحها قطُّ في حرام، فيُكشَفُ الحجاب؛ فتنظر وترى وتتأمل، وتحب ما تراه، وترتجف وتخشع، وتحسُّ بحلاوة ما أحسَسْتها من قبلُ، ولا تستطيع أن تغمض عينيك ولا حتى أن تحرك رأسك! بل أنت فعلًا لا تتنفس! وتهرب من عينيك دموعٌ مشتاقة لترى ما تراه!

إحساسٌ رائع أن ترى وجه اللّٰه أول مرة!



٢
مساحة وُد



على جنبات حياتنا التي تمضي، نحتاج أحيانًا لأن نهدأ، ونتأمل، ونتنفس الحب، ونستمتع بنسمات القلوب الصافية؛ لتتنزل علينا السكينة، ونبسط في قلوبنا مساحات وُد؛ حيث المتسع لكثير من الرحمات.

مساحة وُد

ابسطها له بحنان، وانتظر حتى ينتهي من كلامه، اخفض نظرك قليلًا، أو طالِعه بحنان، إنه والدك، لم تكن تلك التعبيرات الصّارمة على وجهه إلا وقتية، لحظات وسترى الابتسامة الحانية تضيء وجهه.

مساحة وُد

واسأل عليه إن غاب، وافتقده وإن كان لا يملأ حيزًا من الفراغ الاجتماعي، أعلمُ أنه ليس شخصيتك المفضّلة، وربما هو الأقل وميضًا بين رفاقك، وربما لن يُلاحظ أحدٌ أنه يَسير معك، وأعلمُ أيضًا أنه ليس مميزًا، لكنك في عينيه أنت الشخص المميز.

مساحة وُد

وانظر برحمة، وتحدّث لتؤجَر، وجادل بالإحسان، وربّت برفق، وامسح على رأس اليتيم بحنان.

مساحة وُد

استعد للقائه، ولتخشع جوارحُك، واترك الدنيا خلف ظهرك، واذكره سبحانه في نفسك، وتطهَّر من ذنوبك، واكسر نفسَك بين يديه، وابسط لقلبك مساحاتِ وُد، وقُلها بخشوع: اللّه أكبر.

مساحة وُد

وأنصت، واهدأ لتفهم، واقرأ لتتعلم، وفتشْ في سيرته ﷺ وصلِّ عليه كلَّ ليلة؛ إنه يُحبك، كنْ صحابيًّا لتلقاه عند الحوض وتشرب وتهنأ.

مساحة وُد

ولَمِلمْ مِن على شفتيك حروفًا تبعثرَت بعبثٍ، وتشابكَت بقسوة، وعكَّرت صفو أنفاسك المسبِّحة، لتجرح وتُؤذي وتطعَن وتتهم، تَنفَّسِ الوُد، وقل قولًا جميلًا.

مساحة وُد

ولا تُخيِّب ظنّهم فيك، واعرف تمامًا ماذا يَنتظرون منك، واعلمْ يقينًا أنّهم يَعرفون أنك ستقدر، وكن هناك عندما يَحتاجون إليك، ورتّب أولوياتك؛ لأنّك مهم لديهم، أنت كل العائلة في عين كل واحد منهم.

مساحة وُد

ولا تجرح نصفك الآخر، بل كُلَّك الآخر، فأنتما الآن كِيانٌ واحد، جُزءٌ واحد، قلبٌ واحد، فلا تجلد ذاتك الأخرى، وتقتل نفسك؛ فهو أنت، وأنت هو.

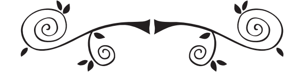
مساحة وُد

وأحبّهم كما هم، لا تُحاسبهم على أشياء لا يَملكون تحديثها، فهناك ما يَعيش فِينا ونعيش فيه، ولا نملك أن

نقتلعَه ونَرميه ونستجلب غيره، اقبل من الناس ما تعلم أنه عندك بصورة أخرى، فلو ملكتَ أنت أن تُغير ما لا يقبل التغيير (كملامحك)، فلك أن تطالبهم بالتغيير!

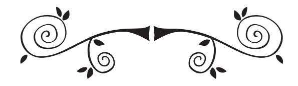
مساحة وُد

وتأملِ الكون الجميلَ، وانظر إلى الدنيا بعين المسافِر الذي يَستعدّ للرحيل، لا تنسَ أن تُرتب حقيبةَ سفرك، بينما أنت تَستمتع ببناء عُشِّك الجميل، كن رحيمًا، وعِش ودودًا وأنت على الطريق للآخرة، حيث اليقين.



٣

حديث الملائكة



إنهم يتحدّثون، يتهامسون، ويتناقلون الخبر، يحملونه ببشارة وهم فرحون، بل ويدعون بعضهم بعضًا ليتعاونوا على حبّك أنت، نعم أنت يا من تقرأ الآن كلماتي، أنت حديث الملائكة!

إنهم يَعرفون صوتك؛ فقد سمعوك وأنت تُناجيه في ليلة ظلماء في سجدة طويلة، ودموعُك تشهد، ويعرفون ملامحك الجميلة، التي شكّلتها ابتساماتُ السحرِ وأنت تستغفر، وهمسات السجود وأنت تدعوه، ودموع التوبة التي سالت، فشقت طريقًا هربت منه المعاصي، فأضاء وجهك.

ويعرفون تلك الوَسامة التي حَطّت عليك عندما اقتربت من اللّٰه وفررت إليه، بل لقد سمعوا أيضًا أنينك بَعد المعاصي وأنت تائب!

ويعرفون كفك الحانية التي رَبتت بحنان على كتف أمك، وبحب على ظهر أبيك، وبوقارٍ على كفّ الفقير، وبرأفة على رأس اليتيم، وبهيبة على كتاب اللّٰه قبل أن تفتحه لتقرأ وترتل؛ فترتفع درجتك في الجنة.

ويعرفون نظراتك، فقد شهدوها وهي تتعفف وتخشع خلف أهدابك المتوضئة، عندما التفتّ بوجهك معرضًا عن تلك الصورة.

ويعرفون صوت دقّات قلبك، عندما كانت تتسارع وتتسارع، وتدق، وكأنها تُنبهك لتلك الحرب التي يَشنّها إبليس عليك ليُوقِعَك في معصيةٍ، فكنت تُسرع وتستعين باللّٰه، فتتوضأ ويسجد قلبك، فتهدأ دقاته وتأنس بصلاتك.

يتناقلون لقبك واسمك بينهم؛ لأنك تحبه، بل لأنه أحبّك سبحانه.

لأنك من الحامدين..

لأن قلبك يهتزّ عند سماع القرآن الكريم..

لأنك تخشى الآخرة وترجو رحمة ربك..

لأن قلبك يُخبت عند الذّكر..

لأنك تشتاق إلى رؤية وجه اللّه..

لأنك تحب أن تُحشَر في صحبة الصّادق الأمين..

لأن وجهك يُنير بنور اللّه الربّاني..

لأنك تحبّ الصالحين، وتصادق المتقين..

استشعر وأنت جالس الآن تقرأ كلامي أنك تسمع وتشهد صَرِير أقلام الملائكة وهي تدوِّن في كتابك ما تقوله وتشعر به وتفعله.

جرِّب أن تسافر بخيالك إلى هُناك، تحت العرش وأنت تنتظر، وتتأمّل، وتُنصت باهتمام، وتتلفّت، فترى نورًا من هُنا ونورًا من هُناك، تُسلّم عليك الملائكة

وتناديك باسمك، وتتعجب؛ فأنت لا تعرفهم لكنهم يعرفونك، فأنت كنت في دنياك حديث الملائكة!

تخيّلهم وأنت تَلفظ أنفاسك الأخيرة، وهم يَلتفون حولك فيبشرونك، ويُطمئنونك؛ فهم يعرفونك.

تخيلهم وهم يصعدون بروحك الطاهرة المؤمنة إلى عِليين.

تخيل نفسك وأنت ترفع رأسك بخشوع ووقار في هيبة عظيمة لتفتح عينيك التي لم تنظر بها أبدًا إلى حرام لترى وجه الله.. يا الله!

نحتاج إلى وقفة، نراجع فيها أنفسنا ونسألها، هل نحن حقًّا نستحق هذا الحب؟!

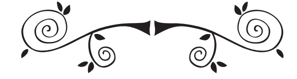
هل يحبنا الله لينادي: «يا جبريل، أحِبّ فلانًا؛ فإنني أحبّه».. سبحانه!

وهل يشقّ السّحاب صوتٌ ملائكيٌ ترتج له السماوات، وتتأرجح السحب، وتتلألأ النجمات، ويُنادَى في الملأ الأعلى: «أحِبّوا فلانًا؛ لأن الله يحبّه»، فتحبّك الملائكة!

قلوبنا مشتاقة، وها هي نسائم الرّحمات تهلّ علينا، فهيا نفِر إليه، وهيا للقاء اللّٰه.

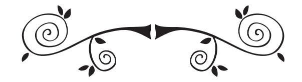
اللهم ألقِ علينا محبةً منك، واصنعنا على عينك، وارزقنا لذّة النظر إلى وجهك الكريم، والشوق إلى لقائك، واجعلنا يا إلهي..

(حديث الملائكة).



٤

قطار الجنة



رائحة القهوة تملأ المكان، والبرد شديد، أصوات الباعة الجائلين حولك، معاطف تسير، ومَظلات تقترب، وصغار تركض، وشابَّة أنيقة تقف بخجل وتُخبئ دموعَها بكفِّها الرقيق، وهو يقف بخنوع أمامها، ولا يجرؤ على مسح تلك الدموع، ويتمنى ألَّا يصلَ القطار؛ حتى تطولَ اللحظة، وأخٌ يبكي فِراق أخيه، وزوجةٌ تبكي فِراق زوجها الحبيب.

الكثير من المشاعر وبعض الوجع، وكأنّهم برحيلهم يَخلعون شيئًا من القلب ويخطفونه معهم، البعض يبكي، والبعض ابتسامته الحانية تشقُّ طريقها بين الدموع بينما هو يُلوِّح بيده، وآخَرُ يَصيح مُودِّعًا ابنه: مع السلامة.. أحبّك كثيرًا.. إلى اللقاء.. انتبه لدراستك.

ويَنطلق القطار، وتتساقط قَطَرات المطر؛ فتختلط بالدموع، هذه هي الدنيا!

كلّنا على سفر، وكلّنا يَستعد للرحيل، الزاد قليل والرّحلة طويلة، وأما عن قطارنا، فهو ليس كأيّ قطار؛ فالبعض يَركبه وهو لا يَعلم، والبعض لم يُدرك أنّه قد قطع التّذكرة، والبعض لا يزال يُسدد في الثمن!

كمال، رجلٌ ودودٌ، وجه طيب، وعينان صادقتان علاهما هلالان أبيضان، وانسحب فوقهما بساط اشتعل على الرأس شيبًا، تشهد كلُّ شَعرة فيه على حُسن خُلق، وصبر على وفاة زوجته وحبيبته، وإخلاص في تربية بناته الثلاث، مُحتسبًا الأجرَ والثوابَ من الله، فصارت كلٌّ منهن كنجمة تسطع في سماء زوجها، تُشعُّ خُلُقًا وتُضيء قرآنًا، وكفراشة تنشر العفافَ أينما حَطَّت.

لم يكن يَعلم أنّه قد قطع التذكرة، وأنه يسدد الثمن، وأتت لحظة الفراق والأنفاس تتسارعُ ثم تضيق، وفوق رأسه زهراته الثلاث..

وداعًا أبي! نلقاك في الجنة.

حبيبة فتاة رائعة وشابة ذكية، وهي الحبيبة للجميع، تَسأل عن هذا، وتُطعِم هذا، وتَسير ليلًا إلى بيتِ فلانة لتُعطيَها أجرَ مَسكنها، وتَطرُقُ باب جارِهم الطبيبِ، وتَأتيه ليلًا بطفل مريض، فلا يردها؛ لأنه يَعرفها ويَعمل معها لوجهِ الكريم، وتجمع من رفيقاتها لتشتري لأخرى الدَّواء، وتفتح خزانتها لتُسعِدَ غيرَها بأحسن ما عندها من ثياب، لم يستوقفها الفستان الأبيض، ولم يَخطف قلبَها بريقُ الضوءِ عندما يَسكن على حبات اللؤلؤ المصفوفة عليه، بل شَغَلها بريقٌ آخرُ يسكن في عين اليتيم، ونظرات الأرملة، والتفاتة المريض إلى وَجهها الحاني، وهي تَربت على كتفه، وها قد وصل القطار وعليها الركوب، وعلى يمينها فتاة أخرى تُطَبِّبُها، ليست أختَها، ولا هي ابنتها، لكنها تعرفها لأنها أطعمتها يومًا ما، وأحبتها وأحسنت إليها..

وداعًا (حبيبة)! نلقاكِ في الجنة.

أحمد، شابٌ رائعٌ، تراه وكأنك تنظر إلى لوحة كاملة الملامح لشاب كأبهى مَن ترى مِن شباب، قامة طويلة، وذراع مفتول العضلات، وعينان سوداوان يَحتضنهما بحنان جفنان ناعسان، وتلوح الأهداب وكأنها تُرفرف حول نظراته الحانية كحمامة سلام، أمطرت عليه سحابة الأيام بعضًا من الألم، وبللته بالوهن، وحطّت على رأسه علامات الزمن، وعشش المرض بين أضلعه، فرَضيَ واحتسب، وما كانت دموعه اعتراضًا، بل كانت صبرًا واحتسابًا وإشفاقًا من قلّة الطاعات، وندمًا على ما مضى من لحظات الشباب؛ فاعتصم وثبت واتخذ رفيقه القرآن، وها هو القطار قد وصل، يشقّ الضباب، وها هو صوت الملائكة وهي تُناديه، وأمه تربّت على رأسه وتُداويه، وتعطّر لسانه بالشهادة، وهمست أخيرًا بصوت تخنقه الدّموع:

إلى اللقاء يا قُرّة عيني! ألقاكَ في الجنة.

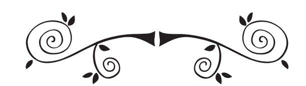
حسام، شابٌ ذكي، وقويّ الشخصية، ناجح ومثابر، خلوق ومؤدب، هكذا وصفوه، اشتاق إلى الجنة فودَّع زوجته وأمه، ورحل إلى هناك، حيث العطر رائحة

الدماء، وحيث الناجون فقط من هم تحت التراب، وحيث علا الظلم فطغى في البلاد، وحطّ برحاله وقطع التذكرة، وركب القطار، ونال الشهادة، وودّعته الأرض، وتهللت السماء له وتزينت، وغرَّدت لقدومه عصافيرُ المساء، واستقبلته حُورُ الجنان شوقًا وحبًّا وطمعًا..

سلام عليك أيها الشهيد! نلقاكَ في الجنة.

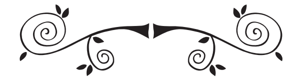
جففّ دموعك، ولا تحزن عليهم؛ فهم سبقونا وهمُ الفائزون، فافرك عينيك، وأزلِ الغشاوةَ حتى تتّضح لك الرؤية، وتأمّل أين أنت وابحث عن التذكرة، وراقبِ القطار؛ فهو بلا موعد، وليست له محطة واسعة تملؤها رائحة القهوة، وإن استطعت أن تركض بعمل صالح خلفه، فلتركض، وإن أتاك الابتلاء بتذكرة، فتمسّك بها واصعد ولا تحزن.

قفْ معنا على الطريق ننتظر ونراقب، ولنُعدّ زادنا لنسافر.. في رحلة تَحُفُّها الصّعاب، لكنها تستحق؛ لأنها إلى الجنة.



٥

محجبة ولكن



خلعت حجابها يوم الزفاف وكانت عارية الصدر!!

وعادت فوضعت قطعة القماش مرة أخرى على رأسها، ذهبت لأبارك لهما أنا وزوجي، ولأتعرف إليها، وجلسنا، فأتتني وهي تبتسم بصور الزفاف الرائعة، وتريدنا أن نشاهدها!

بالطبع أغلقتها بعد أن رأيتها، وأخبرتها أن زوجي لن يراها لأنها بدون حجاب.

محجبة ولكن نسيت أنها محجبة!

محجبة ولكن

اقترب موعد وصول أختها من الخليج، أسرعت لاستقبالها بالمطار وسبقها الشوق،

طال الانتظار لأن الحقائب تأخرت، وأخيرًا ظهر وجه أختها الحبيبة وزوجها الأستاذ فلان!

استقبلتها بالأحضان، وفي وسط الزحام، احتضنت زوج أختها وألصقت صدرها بصدره! ولف ذراعه حولها، ووضعت شفتيها على وجهه وطبعت قبلة على وجنتيه.

محجبة! ولكن نسيت أن زوج أختها محرّم عليها تحريمًا مؤقتًا!

وأنّ هذا لا يليق بالحجاب ولا يرضي اللّه.

محجبة ولكن

فرح وزفاف كبير وهي من الحضور..

الكل متأنق،

الكلّ سعيد،

الكلّ يصفّق ويغني،

والموسيقى صاخبة،

فقرات عمودها الفقري لم تتمالك نفسها؛ فاهتزّت وتزلزلت،

قامت أمها وجذبتها من يدها وقالت لها: (افرحي يا حبيبتي وعيشي سنّك!)

فدخلت وتأرجحت وتمايلت بدلالٍ وضحكت وقهقهت وللأسف أشار البعض وهو يضحك ساخرًا.

ليس منها، ولكن من الحجاب!

فهل هي سعيدة الآن؟

محجبة ولكن

خرجت بتنورتها السوداء الطويلة وطرحة كبيرة تغطي صدرها، لكنها وهي تركب السيارة رفعت ساقًا لتدخل السيارة فارتفع طرف العباءة؛ فظهرت نصف ساقها البيضاء، ونظر كل من كان يمرّ بجوارها ورأى ساقها.

محجبة ولكن

اشترت عباءة سوداء أكمامها واسعة تُظهِر نصف الذراع، بل الذراع كله، كلما رفعت يدها لتحك أنفها أو تحيي صديقاتها يظهر المستور.

لا تظنوا أنها لا تعرف، بل هي تعلم يقينًا أن الأكمام واسعة لأنها ارتدت من قبل أكمامًا من الدانتيل لفستان أسود رائع في حفل زفافٍ بفندق كبير، وتخلّت عن بطانة للأكمام.

محجبة! ولكنها كاسية عارية.

محجبة ولكن

صدر العباءة واسع، والطرحة شفافة.. فرصة!!

نعم فرصة لترتدي العقد الرّائع الذي تملكه؛ فهو أروع وهو على بشرتها المرمريّة مباشرة، وسيكون خلابًا وهو يضوي تحت الحجاب الشفاف.

وربما لو لفتت إحداهنّ نظرها برفق، تنظر إليها بشذرٍ، فتشعرها بالذنب وكأنّها هي الّتي أخطأت!

محجبة ولكن

ترتدي بنطالًا ضيقًا وقميصًا قصيرًا، ولو ناقشها أحد طالعته بنظرة غاضبة، وقالت بازدراء:

يا لك من معقّد! البنطال يسترني أكثر من العباءة!

وفجأة وعندما تجلس يتقلّص البنطال ويلتفّ حول ساقيها فيُجَسِّمهما ويُظهِر التفاصيل.

ولأنها عاشت بحرية وتصرفت بحرية مفهومها خاطئ؛ أصبحت تجلس كما يجلس الرجال، وتتخذ هيئة الرّجال، فاتحة ساقيها، أو رافعة إحداهما على الأخرى للأعلى، تتقلّص أنوثتها وتزداد جرأتها في لغة الجسد وحتّى الإيماءات.

والمصيبة لو انحنت لتحمل طفلًا أو حتى لترتدي الحذاء، يغيب الستر ويتبخّر معنى الحجاب، وحتى لو ازداد وزنها تصرّ على البنطال الضّيّق، وكأنّها ندمت على ارتدائها للحجاب.

محجبة ولكن

وقفت بعد أن استعدت للخروج ونظرت لوجهها يمينًا، فيسارًا، ورأت أنها أجمل لو أظهرت بعضًا من شعر مقدمة رأسها؛ فأزاحت طرحتها، وشمّرت ذراعيها ليظهر لون بشرتها، وأخيرًا وضعت العطر الرائع النفّاذ الذي يُدير رأس الشباب،

وخرجت بعد أن ابتسمت للمرآة، وبادلها الشّيطان الابتسامة.

محجبة ولكن

وقفت تنادي صديقتها بالجامعة بصوت مُرتفع؛ فالتفت الجميع لمصدر الصوت، وأتبعته بضحكة عالية لا تخلو من دلال وخضوع؛ فالتفتوا مرّة أخرى!

وكيف لا تفعل وقد اعتادت على رؤية أمها من قبل توبخ أخاها الصغير وسط الطريق بصوتها الجَهْوَري، وربما تُجادِل البائع بصوت أعلى وتُضاحِكه ليخفّض السّعر، وكأن الحجاب قماشة فقط، لا يستر الجوارح، ولا يحجب الفتنة!

محجبة ولكن

تدخل الإنترنت فتنسى كل شيء، تُدلِّل هذا، وتضحك مع هذا، وتضع آلاف الجمل اللفظية التهكمية والخارجة بحجّة المزاح، والتي لا تجرؤ على التلفظ بها أمام أبيها، أو زوجها إن كانت متزوجة، وربما أيضًا لا تجرؤ أن تقولها لفلان هذا لو رأته وجهًا لوجه -وهي لا تعرفه أصلًا- في مكان عام.

ولها من القفشات والهمز واللمز بالرّموز في توقيتات غير مناسبة مع فلان وعلان، ما يجعل الجميع يقف ليضحك ربّما، لكنّه في النهاية لن يحترمها،

وللأسف يقولون إنّها محجبة!

محجبة ولكن

ترتدي (البادي) وفوقه أي شيء، حتى لو كان شبكة لا تستر شيئًا، وهي تظن أنها هكذا مستورة.

محجبة ولكن

تنظر لمن يحدثها بجرأة وتتفرّس في ملامحه، وتنقل نظراتها بدلال بين عينيه؛ حتى تشغله بها، وربما يصحب كلامَها صوتٌ حنونٌ وحوارٌ دافئٌ؛ لأنّها تهتمّ، ولأنّه عزيز عليها!

إنه زميل العمل الّذي تجلس بجواره وتشكو له من زوجها، وتخبره عن أسرارها حتى يألفها؛ فيبدأ بفتح قلبه، وربما تعرّف على تفاصيل دقيقةً تخصّ حياتها الزوجية، وغرقا في دردشة طويلة، تأنس به ويأنس بها، وتزول الكلفة، وتذوب الحواجز!

لكنه في النهاية لن يصحبها إلى قبرها، حتى لو كانت عيناها عسلًا وشفتاها شهدًا

حتى لو كانت جارة للقمر، وستظل في عينيه امرأة أساءت لحجابها وبضاعتها خاسرة.

محجبة ولكن

تدخل باسم مستعار وتبدأ الدردشة، وتحب، أو تظنّ أنّ هذا هو الحبّ، وتنخرط في علاقة تخبئها عن

أعين النّاس؛ لأنّها تخجل منهم، وتتبعها انفعالات ثُمّ خسارات، وبعد أن تنتهي من جلسة الدردشة تلك، تقوم فتلبس الحجاب وتذهب إلى الفقراء فتعطيهم الصدقة؛ لتحجب عنها نار يوم القيامة، وتظل تتأرجح بين هذا وهذا، ونرجو اللّٰه أن يتوب عليها.

ترى لماذا لم يحجب حجابها عنها هذه الفتنة؟ وهل حقًّا هي تعرف معناه؟

محجبة ولكن

حنجرتها لولبية ويختفي صوتها الغليظ فقط عندما تتحدث إلى الشباب، وينقلب إلى صوت مخمليّ ناعم يشبه صوت القطط، فتبدأ بالنونوة عندما تمسك سمّاعة الهاتف!

ماهرة هي عندما تغيّره، ولأنها تصحبه ببحة أحيانًا، إنّها فنانة وتستحقّ جائزة التميّز؛ فهي ممثلة وتجيد التصنّع!

ترى لماذا يتغير التردد؟!

أليست نفس الموجة؟

صور ربما رأيتها وأراها وسنراها جميعًا، جعلتني أعلم يقينًا أن هناك خلل ما،

وأن معنى الحجاب الحقيقي غير مفهوم، وربما لا يفهمه أيضًا بعض الرجال!

فهل هؤلاء محجبات؟

أم هن محجبات...ولكن؟!

ما فائدة الحجاب إن لم يحجب عنك طمعًا ويستر فيك فتنة؟

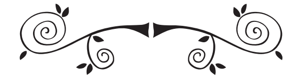
الحجاب قول، وعمل، ونظرة، وهمسة، وتطبيق على أرض الواقع، وهناك على شبكة الإنترنت، وبينك وبين نفسك.

يقول الأديب العظيم (مصطفى صادق الرّافعيّ) عن الحجاب:

«ليس الحجاب إلا كالرمز لما وراءه من أخلاقه ومعانيه وروحه الدينية، وهو كالصدفة؛ لا تحجب اللؤلؤة، ولكن تربيها فى الحجاب تربية لؤلؤية».

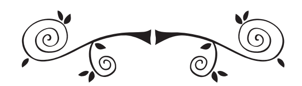
هو حجاب الجوارح يا بنتي، الحصن الذي تحتمي به النّساء..

فاللهم استرنا سترًا جميلًا، واجعل تحت السّتر ما يرضيك عنّا.



٦

إحساسٌ رائع



أن أتوضأ وأقف في خشوع، فأكبّر، فينشرح صدري وتقرّ عيني بالصلاة.

إحساسٌ رائع

أن أسير بحجابي الفضفاض مستورة كاللؤلؤة المكنونة، لا تهمني نظرات إعجاب فقدتها بغطائي؛ لأن نظرة رضا من الله عني تغنيني وتكفيني.

إحساسٌ رائع

أن أنحني على كفّ أمي الحنون فأقبله وهي راضية عني، وألتفت ودعواتها تخترق الفضاء لتعانق السحاب

وتبسط أجنحتها محلّقة ومبتهلة لرب السماء؛ فيرتاح قلبي.

إحساسٌ رائع

أن يكون أبي دائمًا فخورًا بأخلاقي، ويثق في تصرفاتي وحفظي للأمانة ورعايتي للعهد فأحفظ نفسي، فيدير ظهره ويمضي ويتركني وهو مطمئن؛ لأنني عفيفة.

إحساسٌ رائع

أن تكون لي صحبة صالحة تحلّق معي، فنرشف من رحيق القرآن معًا، ونتلذذ بحلاوة الإيمان معًا، ونمضي على دروب الطاعة معًا.

إحساسٌ رائع

أن أمسح بيدي على رأس اليتيم، وأعين بساعدي المسكين، وأحمل عن الأرامل الهمّ الثقيل؛ فأكون سعة لهم وقت الضيق، وضوءًا حنونًا في ظلمة الطريق.

إحساسٌ رائع

أن أحتفظ بكل عبارات الحب الجميلة، فأحتويها بقلبي طيورًا طاهرة أسيرة حتى يحررها زوج عفيف.

إحساسٌ رائع

أن أمسح بكفّي دمعة ألم، وأزرع مكانها لمسة أمل، فتشق الابتسامة طريقها بين الدموع؛ فأفرح لأنني أحسنت العمل.

إحساسٌ رائع

ألّا ينزل رأسي سوى لخالقي، ولا أنحني إلا في سجودي لربي.

إحساسٌ رائع

أن أعلم أن موعد الفرح إذا تأخّر لا يعني أنه لن يأتي، فكلّ أمنياتي قيد الانتظار، وعند اللّه لن تضيع أمنياتي.

إحساسٌ رائع

ألَّا أحزن لأنني وحيدة؛ فالقمر وحيد، وعلى الرغم من وحدته فهو أجمل ما في السماء!

إحساسٌ رائع

أن أجلس بهدوء وأرفع يدي مبتهلة إلى اللّه، فتأتيني السعادة، فهي كالفراشة؛ لو طاردتها ستهرب مني، لكنني بثقتي بربي ستأتيني طوعًا وتستكين على أطراف أصابعي.

إحساسٌ رائع

أن أعلم أن لا شيء يستحق أن أتألم من أجله سوى ذنوبي، فألزم الاستغفار؛ فيفرِّج اللّه عني.

إحساسٌ رائع

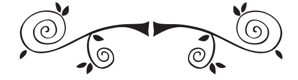
أن أفعل شيئًا نافعًا بيدي وأصابعي؛ أسبّح عليها، أتصدق بها، أو أرحم بها، وأكتب بها ما يرضي ربي؛ حتى أجد ما يشفع لي إن استُنطقَت يوم القيامة وحَكَت بالتفصيل عن حسناتي، وأيضًا سيئاتي التي ارتكبتها بها.

إحساسٌ رائع

أن أشعر أنني على طريق الهداية حتى لو أذنبت وقصّرت وأسأت وابتعدت؛ لأنني مهما تعثّرت سأصل فى النهاية؛ لأنني اخترت الطريق وطلبته بإلحاح ﰲ سجودي من إلهي وحبيبي.. ربي.

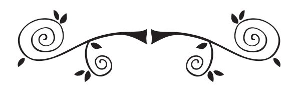
إحساسٌ رائع

لن أجمعه ﰲ سطور؛ لأن للطاعات لذّة لا توصَف، وللالتزام سقف أعلى من كلماتي.



٧

ليتني كنت رجلاً



حتى أركض وماء الوضوء لا يزال على جبهتي، والهواء البارد يصافح عنقي، فأتوجه إلى القبلة وأرفع صوتي وأؤذن:

الله أكبر

الله.. كم هو جميل!؟

ليتني كنت رجلاً

حتى أسير مبكرًا خمس مرات إلى المسجد القريب من بيتي، والذي أراه من نافذة مطبخي، فتكون كل خطوة من خطواتي بحسنة، وتُمحى عني سيئة، وأهرول وقلبي يدق، فأفوز بمكان خلف الإمام بالصفّ الأوّل،

وأمطّ شفتي وأنا أقول (آمين)، فأدندن مع الملائكة وأنال الرحمة.

ليتني كنت رجلًا

حتى تنتظرني زوجة طيبة كلّ يوم أختارها بإرادتي، جميلة، وأحبّها، وتكون عصمتها في يدي، وتكون ملك يميني فتطيعني، تُعدّ لي الطعام، وتغسل ملابسي، وتهتمّ بشؤون مملكتي، وتهيئ لي الهدوء في البيت لأنام بعد عمل طويل.

ثم أستيقظ على أدخنة كوب من الشاي الساخن، فأرشف منه رشفات سريعة باستمتاع وأنا أشاهد التلفاز وهي تجلس بجواري.. ألست ملكًا؟!

ليتني كنت رجلًا

شابًّا عفيفًا، تقيًّا أغضّ بصري، وأحفظ جوارحي، وتظهر الهداية على قسمات وجهي، أسير في الطريق ويحبّني أهل الأرض وأصافح الجميع، وأنام قرير العين؛ لأنّ هناك من الحور العين من تتزينّ لي، وما أحلاهن من حور!

ليتني كنت رجلًا

حتّى أستطيع أن أتوضّأ بسهولة ويسر في أي مكان، فلن أخلع حجابًا، ولن أكشف شعرًا؛ لأنني رجل، كم هو سهل عليّ إن كنت رجلًا!

ليتني كنت رجلًا

حتى أركض على الشاطئ وأضحك وأنا أُشمّر بنطالي، وأقهقه ولا يلومني أحد، فأقفز في ماء البحر وأسبح وأستمتع، ما أروع إجازة الصيف.. إن كنت رجلًا!

ليتني كنت رجلًا

يناديني الصغار (بابا)، ولي حقٌّ عليهم، على الرغم من أنني لم أحملهم في بطني تسعة أشهر وهنًا على وهن، ولم أرضعهم، ولم أغير لهم الحفّاضات، ولم أستيقظ من النوم في ليلة باردة لأحتضنهم وأحملهم.

ليتني كنت رجلًا

لأمارس كل أنواع الرياضة التي أحبّها، وأمتطي جوادًا أبيض وأنطلق

وأسافر هنا وهناك.

ليتني كنت رجلًا

حتى لا يسخر مني أحد ويخبرني دائمًا بأنني ناقصة عقل ودين، وأنّ أكثر أهل النار من جنسي.

ليتني كنت رجلًا

حتى أفتخر أن الأنبياء والرسل من الرجال، وأنه لا يفلح قوم ولّوا أمرهم امرأة..

ولكن؛ أليس كلُّ رجل من هؤلاء هو ابن لأمّ هي من علّمته كلَّ شيء؟ علّمته النطق والحروف؛ فنطق على يديها كلمة التوحيد؛ فثبت لها الأجر، وعلّمته سورة الفاتحة فحفظها؛ فصارت كل ركعة يركعها من لحظة التكليف وحتى يتوفّاه الله في ميزان حسناتها، وعلّمته كيف يلقي السّلام، وكيف يصل الأرحام، حتى نظافته الشّخصية هي من علّمته كيفيتها، وأزالت عنه الأذى بكفّها وهو صغير، ألم تصحبه للمدرسة؟ ألم تكن هي من علّمته كيف يُمسك القلم وكيف يدرس

حتى صار عالمًا فصُبّت حسناته في ميزان حسناتها؟ والله إن أولادنا أعظم مثال للصدقة الجارية، وأفلحَت من احتسبَت الأجر في تربية فلذات أكبادها، ليكون حِضنها مصنعًا للرجال، وهي بالفعل، إن أحسنت تنشئتهم، أعظم من ألف رجل.

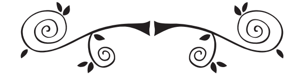
ثُمّ إنني لا أريد أن أكون رجلًا لا يعرف كل هذه النعم، وربما لو كنت رجلًا كنت سأكون فاسقًا وسأظلم زوجتي وأهددها من آن لآخر بأنني سأتزوج عليها!

ربما لو كنت رجلًا سأنام وأجلس أمام التلفاز والحاسوب بالساعات ولا أصلي بالمسجد.

ربما لو كنت رجلًا كنت سأُفتن بالنساء؛ فأعكّر عيني وأفسد قلبي؛ فأغفل وأهلك.

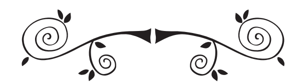
ربما لو كنت رجلًا كنت سأكون أبًا لا وجود له، أو شابًّا تافهًا ضائعًا لا هدف له، أو رجلاً خفيًّا على الرغم من أنه موجود؛ فالحمد لله أنني امرأة. وما أجمل بشارة النّبي ﷺ عندما أخبرنا أنّ حسن تبعّل المرأة لزوجها يعدل كلّ هذا! ما أكرمك ربّي!

ما زلت أشتاق للمسجد، وما زلت أتمنى أن أؤذن، وما زالت نفسي تشتاق للفوز بالصفّ الأول في جماعة خلف الأمام، لأمط شفتي وأنا أقول خلفه: «آمين»، فيوافق تأميني صوت الملائكة فتغمرني الرحمة، لكنني أعشق الصلاة وحيدة في غرفتي؛ فتلك الخصوصيّة التي خصّنا الله بها، والسّتر الّذي أنعم به علينا، لهي والله أحبّ إلى قلبي، وهي نعمة عظيمة أن تكوني امرأة، فاللهم لك الحمد.



٨

إحساسٌ رائع «الجزء الثاني»



إحساسٌ رائع

أن تهرب من هموم دنياك، وتهرول وتتوضّأ بأبرد ماء، ثم تحتويك سجدة، فتهمس دمعتك وتبوح بهمك، ويُسمَع صوتك في السماء، فتعرفك الملائكة، وتعلم يقينًا أن الرّحيم يسمعك؛ فينشرح صدرك.

إحساسٌ رائع أن تناجيه وحدك!

إحساسٌ رائع

أن تقف هناك والكلُّ في هيبة ينتظر، السكون يعمّ المكان، وأنت حائر، تتمتم بالدّعاء وترجو من الرحمن أن يسترك، وتسمع أصواتها وهي تتطاير من بعيد، ويمرّ

بعضها بجوارك فيقشعرّ بدنك، وفجأة ترفع ذراعك وتفتح يدك وتتلقى صحيفتك بيمينك، فتُسَرُ نفسك، وتبتهج روحك، وتسعد بك الملائكة وتناديك بصوتها الرّحيم أن تقرأ.. كتابك!

إحساسٌ رائع

أن تتوب من ذنب تعرفه، عقلك يعرفه، وقلبك يعرفه، وبدنك يعرفه، ثم تُفاجأ يوم الحساب وقد أرخى حبيبك الرحمن عليك ستره، وذكّرك به، بينما أنت لا تذكره! وقُلبت سيئاتك حسنات، ومُحيت الذكريات. إحساسٌ رائع أن تولد من جديد (بتوبة)، وتعيش خالدًا في الجنة.

إحساسٌ رائع

أن تراجع نفسك، وتفتش في حقيبة ذكرياتك عن بصمة من بصماتك، وتوقيع دوّنته على نفس تتألم، فتُفاجأ أنك فرجت عن هذا، وسددت دين هذا، وأضحكت هذا، وأطعمت هذا، وألبست في العيد هذا وهذا، فتعود تلك الذكريات وأنت هناك، تقلب في سجل حسناتك.
إحساسٌ رائع أن تسبقك الحسنة وتنتظرك في الجنة!

إحساسٌ رائع

أن ترى الحوض، وأنت عطشان، فتركض وتركض، يزاحمك البعض ويدفعك آخرون، فتبكي وتصرخ من هول ما تراه، وفجأة تناديك الملائكة! ويشرق وجه النبي ﷺ فيعرفك وتعرفه! وأنت لم تره من قبل، لكنك تعرفه!

وتُشَق الصفوف أمامك وتتقدم بهدوء، ثم يمد يده الشريفة وتلامس كفّه بشرتك، ويسقيك؛ فلا تظمأ بعدها أبدًا.

إحساسٌ رائع أن تلقى النبي ﷺ!

إحساسٌ رائع

أن ينادي مناد: «يا أهل الجنة، إن لكم عند الله موعدًا»؛ فتغشاك الهيبة

موعدٌ مع الله!

لقاء مع الرحمن -جل جلاله-!

ومن أنا حتى ألقاه؟!

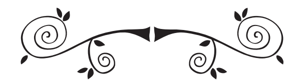
سبحانه.

فتسير في موكبٍ وأنت فرح وضاحك مستبشر، وترفع رأسك، وتفتح عينيك التي لم تفتحها أبدًا على حرام؛ فيُكشف الحجاب فتنظر، وترى، وتتأمل، وتحب ما تراه، وترتجف، وتخشع، وتحسّ بحلاوة ما أحسستَ بها من قبل، ولا تستطيع أن تغمض عينيك ولا حتى أن تحرك رأسك قيد أنملة، بل أنت فعلًا لا تتنفس، وتهرب من عينيك دموع مشتاقة لترى ما تراه! إحساسٌ رائع أن ترى وجه اللّه.. يا اللّه!

إحساسٌ رائع

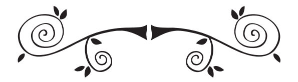
أن تشتاق إلى اللّه، فتشتاق إلى الصلاة؛ لأنها وقوف بين يديه، وتشتاق لقراءة القرآن لأنه كلامه، وتشتاق إلى الليل لأنه فيه يناديك، وتشتاق للنهار لأنه فيه يعطيك، وتشتاق لصوت الأذان لأنه نداؤه، وتشتاق للنبي ﷺ لأنه حبيبه، وتشتاق للجنة لأن فيها رؤية وجهه الكريم، وتشتاق للموت لأنه لقاؤه.

إحساسٌ رائع؛ إنه لقاء اللّه.



٩

على الهامش



تعلّمنا في المدارس أن نسطّر الهوامش، ربما نتركها خالية، وربما نُعلِّم عليها، وأحيانًا نكتب بخطوط صغيرة وباهتة بعض الملاحظات، والكثير من الشرح!

وعلى هامش الحياة، وخلف الوجوه المختبئة في أركانها، والتي ننسى كثيرًا أن نقرأها، سطرتهم الحياة.

هو.. يراك كل يوم، بعينيه النابهتين وأنت تمرّ عليه بعطرك الفتان، وقميصِك الفاخر، وربما يرنّ هاتفك العجيب فتطرب أذنه، يغمض عينيه للحظات ويستنشق بعمق، «اللّه!» يقولها وهو يبتسم ببراءة متمنيًّا كل ما عندك، وربما يشعر ببعض الحسرة عندما تختفي من أمامه.

ليتك نظرت على الهامش..

وألقيت عليه السلام وأهديته زجاجة عطر، وشيئًا مما عندك؛ لأنه شابٌّ مثلك.

هي.. تعرف يقينًا أن هذا صوت خطواتك، وربما تُخرِج رأسها المزدحم بالأحلام من فرجة باب غرفة الفِراشة لتراكِ وأنتِ تدخلين من باب الشركة الّتي تعملين بها، فترفع حاجبيها وهي تتأمل حذاءكِ، وتبتسم وهي تتوه بين ألوان فستانك الجديد، ويخطف العُقد الذي حلّق حول رقبتك نظراتها للحظات، وفجأة تنتبه للقهوة وهي ترتفع؛ فتسرع وتطفئ النّار قبل أن تأكل قلبها المحروم.

ليتكِ نظرت على الهامش..

وابتسمتِ لها، وأهديتِها ثوبًا وعقدًا وحذاءً، وذكرى جميلة.

هو.. يقف كلّ يوم عندما يسمع صوت سيارتك، ويهرول ليحمل الحقيبة من يدك، ويحمل أيضًا أكياس الفاكهة، يصعد بهدوء وبخطوات هادئة خلفك على

الدرج، تصلان أخيرًا وتعطيه جنيهًا ويختفي من أمامك، ويخرج إلى الشارع حتى تتبخر رائحة الفاكهة من ثيابه قبل أن يعود طفله؛ فهو يخشى أن يشمها على ثيابه وهو يحتضنه.

ليتك نظرت على الهامش..

ورأيته وهو يهز قميصه في الهواء لتتبخر رائحة التفاح، وأهديته كيسًا منها ولو مرة واحدة.

هي.. تأتي كل أسبوع وتساعدكِ، تحمل المراتب، تزيل الأتربة، تنحني وتنظّف تحت أريكة غرفة المعيشة، وها هي تنشر الآن ملابسك، وتغسل بيديها هذا القميص الأنيق لابنك، والذي طالما تمنّاه ابنها، وستظل تنتظر وتنتظر، كيسًا كبيرًا يحتوي بعضًا مما كرهتم من ثياب ضاقت عليكم، أو اهترأت، أو بَهت لونها.

ليتكِ نظرتِ على الهامش..

وأهديتِها شيئًا قديمًا وشيئًا جديدًا معًا في كيس واحد، بفرحة واحدة.

هو.. ليس وسيمًا وليس أنيقًا، وليس من عائلة كبيرة، ولا يعرف من الدنيا ما أنت تعرفه، لكنّه يدرس معك في الجامعة ذاتها، ويجلس ببساطة حاله بجوارك أحيانًا فتبتعد أنت وتقترب من أصحاب المقام الرفيع، يتمنّى صحبتكم أنت ومن معك، ليس طمعًا في شيء؛ فهو عزيز النفس، لكنّه يشكو الوحدة وليس ذنبه أنه هكذا.

ليتك نظرت على الهامش..

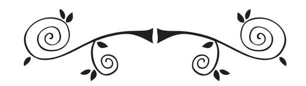
وبادلته النظرات للحظة، وألقيت السلام وفزت بالرحمة التي تتنزل عليكما عندما تحبه (في اللّه).

هي.. تجلس كل يوم في المكان ذاته، تناديك لتشتري منها أي شيء، تبتسم لك وتبالغ في احترامك؛ لعلّك ترضيها، البعض يقف ويشتري ولا يناقشها في الحساب، والبعض يُسمِعُها ما لا تودّ أن تَسمَعه، ثم يلقي لها النقود وهي تتحرّج وتتأفف من فعلته، هي وإن جمعت كل ما تكسبه وضاعفته، لن يصل المجموع لثمن هاتفك النقال، ولا لثمن نظارتك الغالية.

ليتك نظرت على الهامش..

واشتريت منها شيئًا، وناولتها النقود باحترام، وتأمّلتها وهي تقبِّلها وتضعها على رأسها وتُسمِعُكَ الدعاء بالستر، وأن يكفيك الله شر المرض.

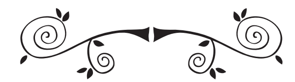
هؤلاء.. سائق السيارة، وعامل النظافة، وفرّاش المكتب، والخادمة، وأطفال الشوارع، والخبّاز، والكهربائي البسيط، والسبّاك، ليس ذنبهم أنهم بسطاء، وليس ذنبك أنك غني وأنيق ومتعلم، ولست أنت من يقسم الأرزاق، وليس مطلوبًا أن نتألم من النعم الّتي رزقنا الله بها؛ بل نحن نحتاج فقط أن ننظر على الهامش، لعلنا نراهم بوضوح، فنتقاسم معهم الفرحة، ونرسم على وجوههم الطيّبة البسمة، فتحلّ على قلوبنا البركة، ونتوقف عن الشكوى بأننا على الرغم من النعم لا نعرف طعم السعادة، لأن، في الحقيقة، اللذّة في العطاء، والسعادة تختبئ هناك خلف وجوههم البسيطة، ولن نراها ونشعر بها إلا إذا.. نظرنا على الهامش.



١٠

إحساسٌ رائع

«الجزء الثالث»



عندما قررت أن تصلّي الفجر في المسجد القريب من بيتك، وبقيت ساهرًا حتى تفوز بهذا الشرف العظيم، وفتحت الباب ثم سرت في هيبة، وابتلعك الظلام ليضيء نور الله في قلبك.

خطوة خطوة وشيء ما يتلجلج في صدرك، نعم، حيث وضعت يدك الآن، إنّها لذّة الطّاعة.

إحساسٌ رائع

عندما تحدّث الشيخ على المنبر وقد غشيتكم السكينة، وتنزّلت عليكم الرحمة، وأنت تُنصت لوصف

الجنة؛ فاشتاقت نفسك ودمعت عينك؛ لأنك تحبّ اللّٰه سبحانه.

إحساسٌ رائع

عندما نويتِ الصوم تطوعًا في غير رمضان، وها أنتِ تشعرين بالتعب وقليل من العطش، ووهنت أطرافك واستلقيتِ للحظاتٍ حتى جاء موعد إفطارك، فأمسكتِ التمرة ووضعتِها على طرف لسانِك وسبقتها إلى فمك الدموع.

إحساسٌ رائع

عندما قلتها لأوّل مرة لأخيك في اللّٰه وأنت تحتضنه، مغمضًا عينيك بينما تتصفّح في ذهنك كل لحظة اقتربتما فيها معًا للّٰه، عندما همست على كتفه وقلتها بصوت مرتعش: «إني أحبك في اللّٰه».

إحساسٌ رائع

عندما حننت إلى الرجوع إليه، فهرولت لتسمع تلاوة خاشعة وعشت في رحاب آية، وتنقلت بين حروفها ورقّت

نفسك فسبقت روحك للجنة، وطافت بها واقتربت شغاف القلب من جدرانها؛ فبكيت وبكيت.. ثم بكيت.

إحساسٌ رائع

عندما حملت على كتفيك ذاك اليتيم، وضحك وتهلل وجهه البريء، وصافحت عيناه عينيك وبريق الفرحة يملؤهما، وأنت ترضيه، وتفرحه، وتخفف عنه.

إحساسٌ رائع

عندما سعيت في الخير مع أخيك بعد أن وقفت بجواره وكتفك في كتفه، وسجدتما معًا تجاور جبهتك جبهته، ورفعتما للسماء معًا دعوات اختلطت وتشابكت وصعدت مستجابة.

إحساسٌ رائع

عندما كنتِ تنتظرين وتشتاقين إلى الوقوف بين يديه سبحانه، تترقبين نداء الصلاة وذاك الصوت الرائع وهو يشق الفضاء ويهزّ السكون؛ فينتفض قلبك وتهرولين إلى سجادتك، فتكبرين في خشوع: اللّه أكبر.

إحساسٌ رائع

عندما أحببت لقاء نبيه ﷺ واشتقت لجواره وأحببت وجهه، وأعجبك صنعه وقوله وفعله، وغارت نفسك لأنّه حنّ على الصحابة، وتمنيت أن تشمّ وتقبل كفه الشّريفة مثلهم، فبكيت.

إحساسٌ رائع

عندما تألّمت لأنك عصيته؛ فانتبهت، وطمعت في رحمته فاستغفرت؛ لأنك تعرف يقينًا أنه سيغفر لك، وأيقنت أنه أمهلك وصبر عليك وسترك؛ فانكَسرتْ نَفسك وتبت إليه..

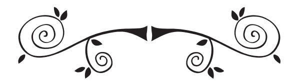
إحساسٌ رائع

عندما وصلت إلى مكة، ولاحت من بعيد أستار الكعبة، فطفت حولها سبعًا، وهرولت وسعيت، وقلبك يسعى ويهرول؛ فرَقّ قلبك وبكيت، عندما اشتقت لرؤية وجه الله، وعندما رأيته يتجلّى في كل شيء بجلالٍ يليق بقدره.

إحساسٌ رائع

أن ترددها هامسًا في سجودك:

أُحبّك ربّي.





الفصل الثالث

سوق السعادة

١

الزهرة البيضاء

حبيبتي في الله، يا بنة الإسلام، يا زهرة بيضاء ارتوت بنور الرحمن، ونبتت في بيت عاشق للقرآن، فصارت طاهرة كماء المطر، وحاكت في نقائها لون الحليب وضوء القمر.

تبقى الزهور على مر العصور تنفح بالعطر وتفيض على الكون جمالاً؛ فتلهم الشعراء؛ فنسمع عن جمالها ما يأخذ بمجامع قلوبنا وعقولنا؛

فتتدفق السعادة وتملأ الوجدان.

وتبقين أنتِ في بيت أبيكِ كالزهرة البيضاء، تتفتحين كل يوم لتنشري رائحة البرّ على كفّه الحنون، وما ألطفكِ وأنتِ تمسحين برحمة على كتف أمك! وتميلين برأفة فتسعدين أختك، تذيبين الفوارق، وتمسحين الدموع؛ فأنتِ زهرة.

وللزهرة كرامة؛ فهي لا تنحني أبدًا، وجمالها في استقامتها وابتهالها الدائم لرب السماء، فلا تتفتح أوراقها إلا في ضوء الشمس الواضح، وهكذا أنتِ.

وللزهرة حياء؛ فهي تلملم أوراقها برفق فتتستر بعفّة حتى يأتي الربيع، وهكذا أنت في حجابك حتى يأتيك زوج صالح، فيأتي الربيع.

وللزهرة جذور قوية ثابتة في الأرض الغنية، فهي تميل مع النسمات الرقيقة لكنها لا تقتلعها أبدًا؛ فهي تحبها، والكون كله يحبها، وهكذا أنتِ، فاطمئني؛ فجذورك التي تشعّبت في باطن الأرض خشوعًا للرحمن، وبحثت بين فتات الصّخور عن الإيمان ستظلّ دومًا لكِ الثبات وهي الأمان.

وللزهرة تواضع، فهي على الرغم من تفوّقها وجماهيريتها وتغلّبها على كل علامات الجمال ورموزه، فإنها لا تتعالى على الآخرين، ولا تشعرهم بتفوّقها عليهم.

فهي تلفت الأنظار بهدوء وفي صمت؛ لأنها زهرة، وهكذا أنتِ.

والزهرة كريمة؛ فهي لا تبخل حتى على أوراقها الخضراء، فتتصدق عليها كل يوم بقطرات الندى فتسقيها، وتتصدق علينا برائحة زكية فتسعدنا وتشفينا، وهكذا أنتِ.

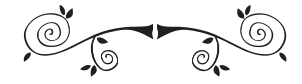
والزهرة هادئة رحيمة؛ فهي تنمو ببطء، وتُطلّ برفق حتى لا تفاجئنا، شيئًا فشيئًا لتزداد يومًا بعد يوم نضجًا وجمالًا وروعة لتكتمل فتعجبنا ونحبها، وهكذا أنتِ. فلا تتعجلي الأنوثة، واصبري أيتها الزهرة، ولتعطي لنفسك فرصة ليكتمل جمالك بلطف شيئًا فشيئًا.

ولا تقفزي قبل الأوان من مرحلة لأخرى؛ فتفوّتي على نفسك الكثير من الدروس التي تتعلمينها من الحياة، والكثير أيضًا من متع الحياة والمرح والفرح؛ فلكل مرحلة من حياتك متعة خاصة.

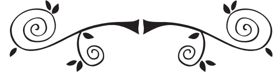
ولا تظني أبدًا أن الأنوثة في ارتداء الكعب العالي، ووضع أحمر الشفاة، وارتداء الثوب الضيق!

بل هي مزيج من رقّة الطباع، وارتقاء النّفس، وهدوء في تناول أمور الحياة، وذوق رفيع في اختيار كل شيء، ليس فقط في الألوان والملابس بل في الأفكار والكلمات، وحتّى في الحركات والسّكنات، وهي أيضًا أخلاق رفيعة وثقافة واسعة، وعلم بأمور الدّنيا، وبكل ما يرضي اللّه.

فكوني دائمًا زهرةً بيضاءَ طاهرةً نقيةً، واحتفظي بعطرك حتى يأتيك الربيع.



٢
فارسُ الأحلام



كان يا ما كان، في قديم الزمان، ولا يحلو الكلام إلا بذكر النبي -عليه الصلاة والسلام-.

تهدأ الصغيرة في فراشها، وقد استسلمت معها خصلات شعرها وتفرعت على وسادة وردية اللون حول وجهها القمريِّ البريء، الذي استقرّت فيه نظراتها البريئة، وهي تستمع إلى حكاية قبل النوم من جدّتها، فتبدأ العجوز الطيبة بغرس الفكرة منذ البداية، وتغزل معها قصّة حب جميلة، وبصوتها الحاني الذي صاحبته الآن بحّة لطيفة، فتصف لها كيف كانت الأميرة جميلة، وكيف أحبها الأمير من أول نظرة، وكيف ركض بحصانه الأبيض، ومد ذراعه القوي وحملها أمامه بفستانها

الأرجوانيّ الرائع، وانطلقا معًا إلى القلعة، وفي لحظة حاسمة تبتر الجدّة استرسال الصغيرة في الخيال بجملة حفظناها جميعًا:

«وعاشوا في تبات ونبات، وخلفوا صبيان وبنات، وتوتة توتة خلصت الحدوتة، حلوة.. ولا ملتوتة؟»

فتبدأ الصغيرة بأول حلم، وتبدأ في تكوين صورة لفارس الأحلام.

هل هو القوي؟

أم الوسيم؟

أم قوي الشخصية؟

أم الرومانسي؟

أم المتدين؟

أم الثري؟

أم كل هذا؟ أم البعض من كل تلك الصفات؟

حارت البنات بين قصص هذا الفارس (الشاطر حسن) وست الحُسن والجمال، عنتر وعبلة، روميو وجولييت، قيس وليلى، لماذا تمحورت الحكايات دائمًا حول هذا الفارس فقط؟

وصارت الفتاة تنتظر وصوله على باب الدار ليركع على رُكبة ويرفع قامته على الأخرى، ويمدّ يده ويمسك كفها برفق ليخبرها أنه هنا، ويطلب الزواج منها، وينتظر الإجابة لتقول نعم.

للأسف، لا تدرك الفتيات أن هذا الفارس وهمي وخيالي إلا بعد فوات الأوان، وللأسف بعضهن تصحب صورته التخيّلية معها بعد زواجها في زاوية مظلمة برأسها، تستحضرها من آن لآخر، وتظل تقارن بينه وبين زوجها؛ فيخسر الأخير دائمًا المباراة، ويشعل فارس الأحلام الوهميّ النّار في قلبها؛ فيحترق، وتغفل عن الواقع ولا ترى الكنز الذي بين يديها؛ لأنها هائمة ومفتونة ومخدوعة، تظنُّ أن الأصلع، والنحيف، وصاحب الشعر المجعد، والهادئ الطيب، ليس فارسًا للأحلام،

وللأسف، هناك من ترفض فلانًا لأنه لم يحصل على شهادة بعينها، وفلانًا لأن أنفه كبير، وفلانًا لأنه بدين، وفلانًا لأنه أسمر، وفلانًا لأنه ليس مهندسًا، أما هذا فليس طبيبًا، ولأنّها طبيبة لا بدّ أن تتزوّج من طبيب، وهذا فلاح، إشارة لاختلاف طباعة وطريقته في الكلام، وهذا لا يرتدي أحدث صيحات الموضة..

سبحان الله!

كان سيدنا موسى -عليه السلام- أسْودَ البشرة كالأفارقة، وكذلك كان لقمان الحكيم أيضًا، ليس السواد عيبًا، وقد يكون الشّاب الأسود البشرة أكثر وسامة ورجولة من غيره.

يا بنيّتي، الفارس حقًّا هو التقي النقي العفيف الشريف، الذي نشأ في عبادة الله وتعطّر بماء الوضوء، إن أتاك تأتي قبله الملائكة، وإن تركك يترك خلفه ذكرى طيبة، تشعرين بالنور في وجهه وهو ينظر، وتلمسين محبة الله في ألفاظه، تتناثر التسابيح على شفتيه عندما

يتحدّث، وفي كل حواراته الشكر والإعجاب والطلب والرجاء والاعتذار والوداع واللقاء، كلها عنده ألفاظ ربانية، وليس بالقول فقط بل بالعمل؛ فهو لا يقبل الحرام ولا يفعله، ناجح في عمله، صاحب حضور وعقل وشخصيّة مميّزة، وليس من الضروريّ أن يكون مشهورًا، لكنّه فعّال.

إن أتاكِ فأنت ملكة؛ لأنه يتوجك أميرة في مملكته الخاصة، سيغض طرفه عن كل جمال وينظر فقط إلى عينيك، لم يذق قبلك حلاوة؛ لهذا فأنت الطعم الوحيد الذي يعرفه، ربما ليس غنيًّا، لكنك أنت الغنية إن كان زوجك، ربما ليس شديد الوسامة في نظرك، لكن اللّه يحب وجهه الذي لم ينظر به إلى معصية قطّ، ستعرفينه من كل شيء؛ لأنه حقًّا فارس، هو من أصحاب يوسف الصديق، ولو مررت يومًا بالمسجد ستعرفينه؛ لأنه وتد قائم هناك، يترك قلبه بعد تسليمة الصّلاة ويعود إليه خمس مرات ليشعر أنه لا يزال على قيد الحياة، وأن دقاته ما زالت تسبح، ولأن قلبه هناك، أنت ستسكنين قلبه لتساعديه حتى يستمر في السعي إلى هناك، حيث السكينة، حيث ينادَى للصلاة، قد يملك الشاب وجهًا

وسيمًا ولكن.. قبَّحته المعصية، لا بد أن نعلّم بناتنا كيف تُقَيّم الرجال حتى تستطيع أن تختار في زمن اختلطت فيه المفاهيم، ويبقى فارس الأحلام حلمًا يأتي بعد الزواج، عندما يتحقق في الزوج الصالح أيًّا كان شكله.

لقد أصبح الزواج صفقة، وتفنن البعض في ابتكار طريقة جديدة لجلد كل شاب يطلب العفاف، تارة بغلاء المهور، وتارة بالتصميم على إقامة حفلات الزواج في أماكن تُهدر فيها المبالغ الكبيرة دون منفعة، وتارة بمطالب مادية لو ظل هذا الأجير (أقصد العريس) يجمع ويطرح كل ما يملكه بالإضافة إلى ثمن ملابسه -لن يحصل على هذا المبلغ المطلوب لقاء إطلاق سراح الرهينة (أقصد العروس).

وللأسف، يظن البعض أن مكانة الزوجة في قلب زوجها تُقَاس بمدى تعبه في الحصول عليها، وأن السهل واليسير زواجها والقليل مهرها ستكون رخيصة!

ترى كم ثمنك أختي؟

ما القيمة التي تقبلين بها لقاء لقب زوجة صالحة؟

وبكم تشتري زوجة صالحة أخي الكريم؟

الزواج أعمق من هذا؛ فهو رفقة العمر، وصحبة الدرب، وربما يطول الطريق، فالزواج ليس فستانًا أبيضَ فقط، وليس فارسًا للأحلام فقط، هو شركة ورحلة لا بد من الاتفاق لتكون ناجحة، لا مكان فيها لتبادل الأدوار، ولن تقوم إلا بالتفاهم، الأسهم الأعلى لأكثرهما صبرًا واحتواءً للطرف الآخر لأنه يحبه، ربما هو تمامًا كتلك اللعبة التي كنا نلعبها ونحن صغار عندما كنت تمسك بيدي صديقك ويقبض هو على كفيك وتبدأ معه في الدوران والدوران،

ربما يختل التوازن أحيانًا، تكاد أن تقع فيشدّك، وفي الدورة التي تليها تكون أنت الأقوى فتشدّه عندما يقترب من السقوط، لو تركت يده لن يتركك لأنّه يقبض بقوة على كفّك المفتوحة، فيدفعك للإمساك به مرة أخرى؛ لهذا لا تلعب هذه اللعبة إلا مع صديق صدوق، لأنك لا

تتحمل مقلبًا سخيفًا منه، وربما يوجعك السقوط على الأرض فتشقى إلى الأبد، لكنها تبقى لعبة!

أما الزواج فلا يصح بأي حال من الأحوال أن يكون لعبة، ليس لعبة.

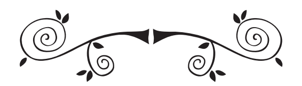
هناك من الأشياء ما لا يُشترى فتذكروه، وتنازلوا في المقابل عمّا يحتاج للكثير من المال ليُشترى.

قال ﷺ:

«إِذَا جَاءَكُمْ مَنْ تَرْضَونَ دِينَهُ وَخُلُقَهُ فَزَوِّجُوه، إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَة فِي الأَرْضِ وَفَسَاد كَبِير»

[رواه الترمذي وغيره].

ولا ينفي هذا حقّك في قبوله أو رفضه، فالقرار لك أنت وحدك، وأنت ستعيشين معه تحت سقفٍ واحد، ليصبح فارسًا لحياتك، لا لأحلامك فقط، وتكوني أنتِ أميرة قلبه.



٣
أوراقُ الورد

سأنثر أوراق وردات حياتي بين السطور، ربما حنينًا لتلك الذكريات، وربّما لأنني أعلم يقينًا أن كل واحدة منكن ستمرّ بمثلها يومًا ما.

كنت أرتدي قميصي الأبيض وطرحتي البيضاء ولا زلت أذكر تنورتي الزرقاء.. إنها مدرستي.

كنا ننتظر بداية العام الدراسي بلهفة، رائحة أوراق الكتب المدرسيّة الجديدة، تجليد الدّفاتر، الحذاء الجديد الأسود الّذي يؤلمني، وتلك الأقلام الجديدة التي نتخيّرها بعناية ونحن نشتريها وكأنّها هي التي ستمنحنا المعرفة!

لن أنسى أبدًا صوت خطواتها.. تك تك تك، إنها معلّمتي الحبيبة (أبلة منى) أو (ميس منى) كما تحب

بعضهن مناداتها، كانت تدرّسنا اللغة العربية، وبين درس وآخر كان لا بد من تلميح، وبالتأكيد نصيحة.

لن أنسى أبدًا فستانها الأخضر الجميل، وفعلًا كان جميلًا عليها، وأظنها كانت تعلم ذلك؛ لأنها كانت تعتني بكل شيء عندما ترتديه، حتى العطر.

كان عطرها القويّ يداعب أنفي وهي تمر بين الصفوف قارئة لفقرة من الدرس، أو مقتربة منّي لتسألني فأجيب، أحببتها كثيرًا.

ومن هيبتها في قلوبنا واحترامنا الشّديد لها الذي نكنّه في صدورنا؛ لم نتمكن من مواجهتها بشيء بسيط جدًّا، وهو أنّها لا تطبّق نصائحها!

فهي تنهانا عن ارتداء الملابس الضيقة، ووضع مساحيق التجميل، وتخبرنا أن هذا حرام، وهذا لا يجوز، وهي تضع العطر وتدخل علينا متأنقة بفستان ضيق يُبرِز مفاتن الجسد! ومرّت الأيّام والحال على ذلك.

حتى أتت لحظة أظنها لن تنساها أبدًا، حين سألت تلميذاتها:

«ما رأيكن فيّ؟»

وأظنها كانت تنتظر مدحًا، فقامت فتاة جريئة وأخبرتها بالحقيقة:

«أنت لا تطبقين ما تنصحيننا به»

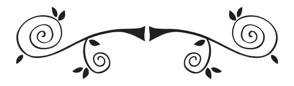
وبين شهقات البنات، ونظرات التعجّب من بعضهنّ، وبعض الهمسات والضحكات المكتومة، مرّت لحظات صعبة على معلّمتنا الخلوقة، ودقّ الجرس وانتهت الحصة، ومرّت أيام قبل أن تأتي المفاجأة..

وصلت الرسالة، ولقنتنا معلمتي الحبيبة أهم درس شرحته في حياتها، فهي لم تغضب ولم تعنّف الفتاة، ولم تتكبر أن تكون هي من تتعلم منّا، فبعد أيام أتتنا بهيئة جديدة! ارتدت معلمتي حجابًا طويلًا ولباسًا فضفاضًا، وودّعت مساحيق التجميل وزجاجة العطر عند خروجها من البيت، ويبدو أنّ هناك من كان يترقّب تلك اللحظة، فقد دقّ باب بيتها شاب صالح وخُطِبت له، وفرحنا جميعًا.

لن أنسى أبدًا تلك الأيام..

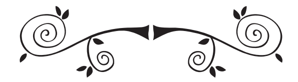
عفوًا معلمتي..

لم ينتهِ الدرس بعد؛ فما زال شرحك مستمرًا، وما زلتُ أتعلّمَ منك عندما يمرّ طيفك بذاكرتي، جزاك اللّه عنّا خيرًا.



٤

سوق السعادة



تساءلت للحظات: ما معنى السعادة؟

وما مذاقها يا تُرى؟

وهل أنا وصلت إليها؟

وأين أبحث عنها؟

يا ترى بكم كيلو السعادة؟

وأين هو السوق لأشتريها!

أتعلمون؟

قفزت إلى ذهني صور كثيرة كلها لأشخاص على وجوههم ابتسامة.

قمّة السعادة لطفل هي قطعة من الشيكولاتة الفاخرة.

قمّة السعادة لعجوز أن يخبرها أحدٌ ما بعد أن يتذوق طعامها أنّه لذيذ جدًّا.

قمّة السعادة لفتاة في السادسة من عمرها فستانٌ واسع تدور به ليدور معها أمام صديقاتها.

قمّة السعادة لغلام في العاشرة أن يحرز فريقه المفضّل هدفًا في مباراة ساخنة.

قمّة السعادة لأب طيب أن ينجح ابنه بتفوق في الثانوية العامة، وأن يصبح أطول منه، وربما أقوى منه، وبالتأكيد أغنى منه، وأذكى كثيرًا.

قمّة السعادة لأم جميلة أن يطرق بابَ بيتها عريسٌ وسيم وصالح ليخطب ابنتها وتراها بالفستان الأبيض.

قمّة السعادة لكل فتاة على وجه الأرض أن تكون عروسًا حلوة بفستانها الأبيض.

قمّة السعادة لعروس جديدة أن تعرف أنها حامل في شهرها الأول.

قمّة السعادة لشاب طموح هو أن يحقق إنجازًا في عمله؛ ليزداد راتبه.

قمّة السعادة لكل محب أن يتزوج بحبيبه.

وهناك، في زوايا أخرى على هامش الحياة وفي مكان آخر..

قمّة السعادة لشاب فقير أن يجد ركنًا دافئًا في حديقة ليختبئ ويبيت ليلته؛ لأنّه لا يمتلك بيتًا.

قمّة السعادة لأم تعمل خادمة في البيوت أن تكتشف ربّة البيت أن بنطال ابنها تمزّق لتخلعه عنه وتعطيه لها ليفرح ابنها.

قمّة السعادة لعامل في مطعم بقشيش محترم من شخص طيب يحن عليه، فربما يتمكن من شراء نصف كيلو من اللحم ليطعم أولاده.

قمّة السعادة لطفل من أطفال الشوارع أن يقوم صاحب محل الحلويات بالعطف عليه وإعطائه قطعة الكعك التي قضى ساعات طويلة في تأملها وهو يلصق أنفه الصغير بزجاج المحل الفاخر.

قمّة السعادة لفتاة بسيطة أن يكرمها اللّه وتجد ظلّ رجلٍ تحتمي به وتلوذ إليه، بدلًا من تلطمها بين وظيفة وأخرى تُهان فيها مقابل جنيهات لا تُسمن ولا تُغني من جوع.

قمّة السعادة لمريض أن ينظر الطبيب إلى الأشعة أو نتائج التحاليل ويبتسم ويقول له: «مبارك؛ أنت سليم.»

ويتم استبعاد إصابته بمرض خطير!

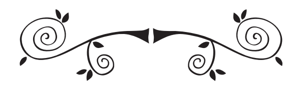
الحقيقة أننا مغمورون بنعم ولا نراها إلا عندما نفقدها، فالحمد للّه على نعم تسكننا ونجهلها.

كن سعيدًا

ودعك من الدنيا

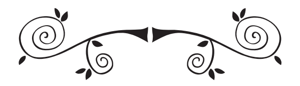
افرح بنصيبك وما معك وما عندك وقل: يا رب ارْضِنِي.

السعادة موجودة، وسوقها كبير، وهي بالمجان، لكننا ضللنا الطريق.



٥

هناك... وهناك



هناك من لا يتكلم كثيرًا، ولكنه إن تكلم فكلامه حلوٌ لا يُنسى.

وهناك من يتكلم كثيرًا، وكل كلامه ثرثرات تُنسى.

وهناك من لا يَظهر كثيرًا، لكنه حاضرٌ في قلوبنا ولا يُنسى.

وهناك من هو حاضر كل يوم، لكنه إن التفت.. يُنسى.

وهناك من لا يفعل إلا القليل، لكن أفعاله لا تُنسى.

وهناك من يفعل الخير الكثير، فيمنّ ويخبر النّاس بأفعاله.. فتُنسى.

وهناك من لا يخطئ كثيرًا، لكن أخطاءه مؤلمة.. آلامها لا تُنسى.

وهناك من يخطئ كثيرًا، لكننا نسامحه؛ لأن أفضاله لا تُنسى.

كلها مساحات في القلب، والقليل فقط يحتلّ مساحة لا تُنسى!

وما تزال تغربل لنا الأيامُ من نعرفهم، فيسقط البعضُ من أعيننا، ويتبخّر البعضُ هربًا منَّا، وننفخ البعضَ في الهواء نفورًا منهم، والبعض يقترب عندما نمدحه ويبتعد عندما ننصحه!

وهناك من يحبنا لأننا نوافقه، والبعض يكرهنا لأننا نخالفه.

نخطئ فنسمح للبعض أن يقترب أكثر من اللازم؛ فينسى الاحترام ويتخطى الخطوط الحمراء فيفقد مكانته. ونخطئ عندما لا نلاحظ روعة البعض؛ فنفقدهم ونفقد مكانتنا لديهم.

البعض يحذف فارق العمر ويظن نفسه الأعقل؛ فيتبجح، والبعض نحذف فارق العمر احترامًا لعقله الناضج؛ فينجح.

نصادق أنفسنا في صدور الآخرين عندما نرى مودتهم لأرواحنا، ويموت البعض فيترك فراغًا مؤلمًا محفورًا في قلوبنا النابضة لهم بالدعاء.

ويعيش البعض بيننا وهو في الحقيقة فراغ نظنه لوهلة إنسان، ونتحقق فنكتشف أنّه شبح، لا تظهر له ملامح! وكنّا نظنه من البشر.

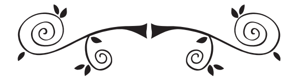
ويتسلل البعض إلى قلوبنا فيتمكنون!!

ونظل نبحث عنهم وهم لا يشعرون، نبتسم إذا فرحوا، ونبكي إذا فزعوا، ونشتاق لهم إن غابوا، وندعو لهم إن احتاجوا.

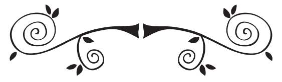
لكننا نفضّل الابتعاد عنهم، لمصلحتهم ولمصلحتنا، وربّما نلقاهم تحت ظل عرش الرحمن، فنحن نحبهم لله وفي الله.

غربلي يا أيام وأسقطيهم، وحتى إن سقط بعضهم سأحب فيهم قربهم للّٰه.

اللهم ارزقني من حبي لك من يحبني فيك.



٦
أحلام مؤجَّلة



لكلّ فتاة حلم، ولكل حلم مميزاته، تختلف الطبائع وتتنوّع الشخصيات، ويبقى حلم واحد مشترك لكل الفتيات، وهو (الزواج).

أحيانًا يكون حلمها الوحيد؛ لهذا هي تتعب وتعاني وتحزن لو تأخر، وأحيانًا تكون على قدر من الذّكاء فترتّب أحلامها، وتنجز بعضها، ثُمّ ترتفع إلى مكانة تحقق فيها ذاتها فلا تشعر أنه تأخر؛ لأنّها تعيش بالفعل سعادات أخرى.

ولأنّ لحياتنا ظروفًا مختلفة تتقلّب وتتغيّر من مجتمع لآخر، وتتفاوت من طبقة إلى أخرى؛ تغيّر سن الزواج، فهناك مجتمعات تتزوج فيها الفتيات مبكرًا، ولهذا فسن

العنوسة هناك -وأنا أكره تلك التّسمية لكنني اضطررت لذكرها للتوضيح- حول العشرين، وهناك مجتمعات أخرى -وبخاصة المجتمعات الأكثر ثقافة- يرتفع فيها سنّ الزواج بسبب إصرار الفتاة أو أهلها على إتمام الدراسة؛ ولهذا أصبح سن العنوسة -التي يزعمونها- قرب الثلاثين.

حكموا على مستقبلها بالإعدام شنقًا إن تخطتها بعام أو اثنين، هددوها ودفعوها لتقبل بالزواج من أيّ شخص يطرق باب قصرها وإن كان لا يناسبها، كسروا تاجها فتبعثرت اللآلئ، وأزاحوها من فوق كرسي العرش، سلبوها ابتسامتها وسرقوا بريق عينيها.

حاكموها في محكمة شهودها أفراد مجتمع لا يعرف عن عالمها الخاصّ أي شيء،

لا يعرفون أنها مثقفة جدًّا، قويّة كثيرًا، نشيطة وناجحة، وذلك عندما تحدد من البداية أنّ الزواج ليس حلمها الوحيد، ولكنه ضمن مجموعة من الأحلام الجميلة، وقد لا يحزنها تأخّر الزواج، أمّا ابنتنا الّتي

تحزن كثيرًا لتأخر زواجها لأنّه حلمها الوحيد فلي معها وقفة.

يا طيّبة القلب، سيأتي بإذن اللّه رزقك في موعده، زوج صالح تقر به عينك، فلا تؤخريه وخذي بالأسباب، فأحيانًا قد تكونين أنتِ جزءًا من السبب في حالة تأخر زواجك يا أميرتي؛ وذلك عندما تتعللين بعيوب تافهة لرفض شخص على دين وخلق أكثر من مرة، لمجرّد أن مواصفات فارس الأحلام لم تتوفر بعد.

وأحيانًا عندما لا تكونين على قدرٍ كافٍ من النّضج والاتزان ليلاحظ الآخرون أنّك أصبحت الآن عروسًا تصلح للزواج.

كثيرًا ما أتألّم وأنا أرى فتيات يتصرفن بطريقة بعيدة عن الرّزانة أمام الناس، على الرغم من أنهنّ في سن لا يتناسب مع تلك التصرفات.

الهدوء والعقل والتسلّح بالحجاب والدين هم جنودك؛ حتى ييسر لك اللّه زوجًا صالحًا يليق بك؛ فصاحب

الدّين والخلق يبحث عن صاحبة الدّين والخلق. أحيانًا يتسبب أهلك في تأخر زواجك؛ بالطلبات الكثيرة والمُبالَغ فيها حدّ التّعجيز.

لماذا لا يتوقف العم والخال وزوجتاهما عن التدخّل في الأمور المادية التي لا تعنيهم؟

لماذا تعطين أذنك لابنة عمك وجارتك وزميلتك فتعكّرين صفو زيجة يسيرة سهلة اقترب موعد ميلادها؟ وعلى الرغم من قبولك ينفرونك منها! إمّا لأنّ شكله وملامحه لا تروقهم، أو لأنّه ماديًا لا يعجبهم!

لماذا لا يتوقفون مع كلمات اللّه؟

﴿إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾.

(النور: ٣٢).

﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾.

(البقرة: ٢٨٦).

﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾.

(الطلاق: ٧).

الأذواق تختلف، وما يعجبك لا يعجبني، وما يعجبني ربما لا يعجبك بتاتًا، وربما نتفق على جمال فتاة وتأتي ثالثة تراها قبيحة، والعكس بالعكس، فقد يكون الشّاب وسيمًا في عينكِ ولا يروق لغيركِ، وقد يرضيكِ، ولا يرضيهم، لهذا لا تعتمدي على رأي الآخرين، واختاري بنفسكِ. وأيضًا لا تتعللي أبدًا بمستوى جمالك المتواضع وتكررين أنّه سبب تأخّر زواجك، فأنت جميلة لأنك من صنع اللّه، والجمال متفاوت ويختلف من شخصٍ لآخر، وقد يراكِ أحدهم فتعجبينه وتكونين قرّة عينه، ويزهد آخر في أخرى على الرغم من أنّها فائقة الجمال.

كما أن الجمال داخلي، وينبع من الروح المستقرة التي تتمتع بسلام داخلي ورضا وقناعة بما قسمه اللّه

-تعالى- لها، الجمال هو شيء يُحَسّ ويستلذّ به عندما يقع في النفس، وليس كما يُظنّ أنه فقط يُرى بالعين، فالزوج المحبّ يرى خلف تضاريس وجه زوجته الحبيبة -التي يراها الجميع فقيرة الجمال- تلك التفاصيل الصغيرة التي لا تُرى بالعين، فيلتَفتُ إليها بقلبه؛ فيراها جميلة لأنه يحبها.

فتشي في ذاتكِ وافتحي قلبكِ وعقلكِ، وعزّزي ثقتك بنفسك، وارعي مميّزاتك، فكلّ فتاة لديها نصيب من الجمال، والجمال نبتة رائعة تحتاج للريّ والعناية المستمرة، أنت جميلة.. صدقيني. وعندما تثقين في نفسك ستتغير هيئتك وتتبدل تصرفاتك وسيثق بك الآخرون، وسيرى الناس جمال روحكِ ونفسكِ.

واحترسي؛ لأنهم ينظرون إليك، نعم، كل الناس يطالعونك من بعيد، ولأنك منبر متحرّك يعلن عن الإسلام لا بد أن تنتبهي، الأخت والأم والخالة والعمة تبحث دومًا عن عروس لقريبها الشاب، لا بدّ من الوقوف مع النفس، وإصلاح الهيئة والاهتمام بالمنظر

والشكل، رتّبي نفسك، وحياتك، ونظمي واجباتك، وإيّاك والإهمال، لنفسك قبل أن يكون من أجل الزّواج، فلبدنك ونفسك عليك حقّ، لكنني أصارحك:

من يحبّ أن ينظر إلى فتاة يداها غير نظيفة؟

من يحبّ أن يقترب من فتاة رائحة عرقها نفاذة؟

من يحبّ أن يتعامل مع فتاة ثيابها غير مرتبة، بل ومنفّرة؟

من يحبّ أن يلقي السلام على فتاة عابسة الوجه ليلًا ونهارًا؟

أنا لا أقول: تبرجي، ولا أقول: اخضعي في القول، ولا أقول: تعطّري بالعطر القويّ الفتان ومرّي بالقوم، ولكن كوني نظيفة ومحترمة وبشوشة، وقبل أن تكوني جميلة المظهر احرصي على جمال الجوهر وصفاء النفس، فالكل يكره الحقد والفتاة الحقودة مكروهة، والكل ينبذ ذات اللسان اللاذع، وتذكّري أنّك بتعففك عن الجدال والرّد أنك تفعلين هذا لله تعالى.

﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾.

وأخيرًا..

الزواج ليس النهاية، بل هو البداية.

الزواج مسؤولية وشركة تبدأ بقبولكِ له وقبوله لكِ.

الزواج طاعة، وما يأتي بعده بإذن الله -تعالى- لا بد أن يكون طاعة.

لا تجعليه فقط هدفًا رمزيًا، بل اجعليه هدفًا متفرعًا ومتشعبًا لتبني مع زوجك بيتًا مسلمًا صالحًا يكون لبنة في المجتمع كلّه.

لا تظنّي أنه صندوق ممتلئ بالأحلام الوردية، ولا أقول لك إنّه ليس ورديًّا، ولكن تأكدي أن لكل مرحلة جمالها ولكل خطوة نجاحاتها.

اطلبيها من الله في سجودك، أن يرزقك زوجًا صالحًا تقيًّا يقربك إلى الله، وعندما يتأخر وقتيًّا يا مليكتي فثقي بأنّك في (مهمة) خاصّة.

ربّما يسركِ اللّه لشيء آخر، وربما هيأكِ اللّه وفرّغكِ لمهمة ما؛ برّ بوالدة ربما ستبقى وحيدة إن تزوجتِ الآن وستتعذب، وبرّك بها سيدخلك الجنة، وقت إضافي للدعوة ولتحفظي القرآن وترتّلينه وتجوّدينه، بل وتحفّظينه لأخريات، عمل أنت ناجحة فيه وتحققين شيئًا جديدًا نافعًا للإسلام وللمجتمع ككلّ.

مجهود عمليّ لمساعدة الأيتام والفقراء والمحتاجين، بل وعيادة المرضى، لو تزوجتِ ما تفرغت لهذا الشّأن العظيم، تعلّمين النّاس الخير، وطوبى لكِ إن كنت ممن يِعلّمون النّاس الخير، فقد قال النبي ﷺ: "إنَّ اللّه وملائكته وأهلَ السمواتِ والأرضين، حتى النملة في جحرها، وحتى الحوت في البحر؛ ليصلون على معلمي الناس الخير".

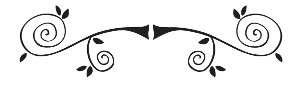
وتأمّلي.. كم من فتاة تأخر زواجها حتى نبت الشيب في رأسها وإذا بالزوج الصالح يسعى إليها دون جهد منها!

وكم من فتاة تزوّجت بفارس أحلام متألّق ووسيم، وارتدتْ أبهى الحلل وأغلى وأثمن الحلي والذهب، ثم انتهى بها الحال مطلّقة مذبوحة حزينة!

وكم من فتاة هي أمامنا متزوجة وسعيدة، وهي في الحقيقة سجينة في زنزانة، وربما تتمنى ما أنتِ فيه!

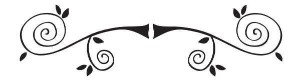
ولا أقصد هنا إلا معنى ربّما يغيب عنكِ؛ وهو (لطف اللّه الخفي)، فربما تأخُّر زواجك أو حتى عدم حدوثه نعمة كبيرة أنت مغمورة فيها، ولو اطّلعنا على الغيب لاخترنا الواقع، فلنرضى بما قسمه اللّه -تعالى- لنا ولا نتأفف، تعلّمي الصّبر وتذكّري أنّ الدنيا فانية والجنة باقية.

أسأل اللّه أن يسعدكِ في الدنيا وفي الآخرة.



٧

أنت جميل جدًّا



أتألّم كثيرًا عندما أرى شخصًا ما، أو أسمع عن شخصٍ ما، أو أقرأ كلامًا لشخص ما، تنتابه مشاعر اليأس والضّيق لأنه ببساطة؛ نحيفٌ جدًّا، أو ضعيفُ البنية، أو ربما فتاةٌ سمراء، أو شابٌ ذو أنف كبير، أو فتاةٌ لطيفة لكنها ليست صارخةَ الجمال.

وربّما ينطوي الشّاب على نفسه ويتخفّى عن الأنظار أو ينسحب من مساحات الودّ التي يبسطها له الناس؛ لأنه حزين.

مهلًا أخي!

مهلًا أختي!

مهلًا أبنائي الأحبّاء!

أحقًّا لا يعجبك أنك سليمٌ معافى صحيح وفي أحسن تقويم تسير علىٍ قدميك، وتستخدم يديك، وترى بعينيك، وتسمع بأُذنيك!!

هل تظن أن الناس تركت كل شيء في العالم وركزت على أنفك؟

هل تظنين أختي أن الأعين كلها تنظر إلى لون بشرتك ولا تلتفت إلى ما يغرفه لسانك؟

هل تظنين أن البيضاء فازت بوسام التميّز وحظّ السّعادة لأنها فقط بيضاء؟!

هل ملكات الجمال هنّ فقط المحبوبات السعيدات؟

لا واللّه.. فنحن نلتقي كل يوم بالعديد من الشخصيات النورانية، نحبّهم بشدّة على الرغم من أنهم قصار ربما، أو أصحاب بشرة داكنة جدًّا.

بل ونتعجب من تألّق شخص ما ونجاحه وارتقائه على الرغم من أنه لا يملك من الوسامة إلّا حظًا قليلًا، وقد يكتب اللّه له القَبول من آلاف البشر.

وتُمصمِص النساء شفاههنّ عندما يشاهدن رجلًا وسيمًا تزوّج من امرأة أقل منه في مستوى الجمال، وربّما لو بحثوا عن السبب لعرفوا يقينًا معنى الجمال الحقيقي داخل هذه المرأة، جمال الرّوح، والذي رآه الزوج في كيانها كله من الداخل قبل الخارج؛ من نفسها وأنفاسها قبل تقاسيم وجهها، وليس فقط كما يفتّش البعض في الملامح.

في الحقيقة؛ هذا شعور ينتاب بالذات من هم في سن المراهقة؛ لأنهم يغفلون عن اكتشاف ذواتهم من الدّاخل وفقط يكتفون بتفحّص صورهم في المرآة، ويحتاجون لمن يأخذ بأياديهم وينبههم ليتجهوا لبناء أنفسهم من الداخل. نحتاج لثقافة وعلم، وحوار هادف وعميق، ومعلومات، وطريقة نتعامل بها مع الناس نتحلّى فيها بالأخلاق الحميدة.

أحيانًا لا ينجح الجمال ولا الوسامة وحدهما في التعامل مع الناس، ولا يجلب السعادة؛ فالجمال يُقبَّح بالجهل، وبالفظاظة، وأيضًا بالمعصية، تمامًا كما ينصرف الناس

عن قطعة الحلوى؛ لأنها تقذّرت بالذّباب، أو لأن هناك من لوثها وأفسد منظرها الجميل.

ما أسوأ أن تشعر بالمرارة بعد أن تضع قطعة الحلوى الجميلة في فمك! وتُفاجَأ بتعطّنها وفسادها، أو تعجبك ألوان قطعة الحلوى تلك، والمزيّنة بالألوان الحمراء والخضراء والصفراء، وتكتشف في النهاية أنها زائفة! ومصنوعة من ملح وتراب وألوان خادعة فقط لغرض التصوير.

الإنسان ليس صورة فقط؛ إنما هو كتلة من المشاعر والقيم والمبادئ والثقافة والتصرفات، وقبل كل هذا تقوى الله في السر والعلن.

الدّينُ، والخلق، والبرّ، والإحسان، واللسان الحلو العامر بالكلمات الطّيبة، والعمل الصّالح، وحبّ النّاس، واحتواؤهم، والرّحمة ورقّة القلبِ يا عباد الرحمن، تتفاعل كلها مع بعضها ولا تظهر أبدًا بوسامتها إلا على وجه طيّب.

وتأكّدوا أنها ستأبى الظهور على وجه فتاة صارخة الجمال، أو وجه شاب مفتول العضلات، طالما ارتبط كلاهما بمعصية وفعل قبيح ولسان يتلفّظ بأقبح الألفاظ،

فكم من وجهٍ وسيمٍ قَبَّحَتهُ المعصية!

حتى الألوان لن تخفي القُبح وسوء الخلق..

أحمر شفاه!

لن يلون الكلمات، ولن يُجمِّل شفاه لا تعرف إلا الكذب.

حُمرة الخدود!

لن تكون بحلاوة حُمرة الخجل.

أعين كحيلة!

ما رأيت أجمل من عين تكحلت بغض البصر.

أغلى العطور!

لن تكون أثمن من السيرة العطرة لفتاة تقية.

يظنون أن التجمّل وارتداء أحدث الأزياء، ومعرفة أسماء الماركات العالمية هو التحضّر، فيُذبَح الحياء برموش الفتيات، وتتقلّص النظرات العفيفة، وتبهت روح الفتاة الرّقيقة، ويصبح التبجّح شجاعة، أليس غريبًا؟!

صارت المرأة المتلوّنة التي تُبرز أجمل مفاتنها سيدة مجتمع راقية، وتحوّلت العفيفة التي تتستر إلى امرأة متأخرة وغير متحضرة.

حتى لو تحدّثت بالمنطق والعلم والحجة لا ينظرون إلا لوجهها؛ ليبحثوا فيه عن الزّينة!

عزيزتي، لا تتعبي نفسكِ!

كل مساحيق الدنيا باختلاف أنواعها وجودتها، لا يمكن أن تضيء وجهًا أطفأته المعصية.

فتشي عن الجمال في نفسكِ، وأنتَ أيضًا فتش في صدرك وابحث عن الجمال في داخلك، وأشعل سراج الإيمان بين أضلعك، واحمل حب الله في قلبك أينما ذهبت. والله إنّ نظرة رضًا من الله أغلى من آلاف نظرات الإعجاب من الخلق كلّهم.

لتنعم بالسلام الداخلي عندما ترضى عمّا كتبه اللّه لك، استشعر الرّضا الآن في قلبك، يقول ابن القيّم:

"رضا اللّه عن العبد أكبر من الجنة وما فيها؛ لأن الرضا صفة اللّه، والجنة خَلْقُه.

(ورضوان من اللّه أكبر)

ورضاه عنهم جزاءٌ على رضاهم عنه في الدنيا، ولمّا كان هذا الجزاء أفضل الجزاء كان سببه أفضل الأعمال".

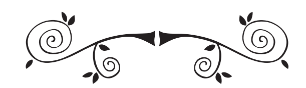
أرأيت كم أنت وسيم الآن؟

هل تشعرين الآن أنكِ ملكة جمال حبيبتي في اللّه؟ نعم

أنتَ وسيم، وأنتِ جميلة؛ لأن كلاكما يحب اللّه.

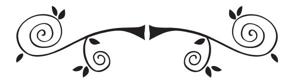
اللهم اجعل حبك أحب الأشياء إلينا، وخشيتك أخوف الأشياء عندنا

وارزقنا الرّضا يا رب.



٨

أيّها البحر... شكرًا لك!



أحيانًا تحب مَن أمامك بدرجة مؤلمة، تحاصره، وتخنقه، تغرس فيه مسمارًا حتى لا يتحرك بعيدًا عنك، وربما تجبره أن يُظهِر لك هذا الحب، ويحاول فيفشل.

أحيانًا تكون زوجًا، وأحيانًا أبًا، وأحيانًا زوجةً، وكثيرًا خاطبًا محبًّا لخطيبته، وأحيانًا ولدًا يطالب والديه بما لا يطيقانه..

لماذا نقوم بجرح الآخرين؟

ولماذا يجرحنا الآخرون؟

لو توقفنا قليلًا قبل كل كلمة جارحة أو موقف جارح لما تسببنا في الكثير من الأذى، ولو تمهلنا قليلًا ما خسرنا

ما خسرناه، لو أحببنا أنفسنا، لن نجرح أبدًا الآخرين.

لأننا سنرضى عن أنفسنا، وأبدًا لن نشعر بالإهانة من أحد، وبكل بساطة نحن نعيش في حالة رائعة من السلام النّفسي.

الحب تفاعل وسماحة وعطاء أكثر منه أخذ وانتفاع، كن إن أحببت كالشمس، تمنح الآخرين الدفء، والضياء، ولا تتأخّر أبدًا، وتصل في موعدها كلَّ يوم، عطاء مستمرّ.

من الممكن أن تكون كالبحر، واسع، ورائق، وصافٍ.. شفاف!

خيرك كثير، ومليء بالمفاجآت، تستطيع أن تحمل شيئًا ضخمًا كسفينة محملة بالبضائع، أو أن تحتوي كائنًا صغيرًا كسمكة صغيرة، على الرغم من ملوحتك يحبك الجميع!

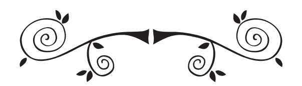
حتى رائحتك وصوت أمواجك الغاضبة وهي تلطم الصخور تبعث الطمأنينة في النفس؛ لأنك كبير بقدرٍ

يكفي لاحتواء الجميع. إن رموا فيك القاذورات تلقيها برفق على الشاطئ، وأحيانًا تتقبل كل هذا بكرم عندما تلقي عليهم وردة سقطت من يد أحدهم وطفت فوق سطحك برقّة وعذوبة.

الكلمة الطيبة كالوردة؛ فهي صدقة، لا تبخل بها أيها المسلم التقيّ النقيّ بعطائك.

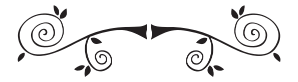
كن كما تحب أن يكون لك من تحبّه، وليقول لك الجميع في النّهاية:

أيّها البحر، شكرًا لك.



٩

الزواج والمسطرة



يظنّ البعض أن هناك شخصيات مثالية ورائعة ومتدينة، لا يوجد فيها ما يحيد عن خط المسطرة.

هي.. تريده شابًّا رائعًا، أشد منها التزامًا، يأخذ بيدها للجنة، لا يخطئ أبدًا، يغض بصره ولا يذنب، طوال النهار يرتل القرآن، وطوال الليل قائم يصلي، وفي نفس الوقت يعمل وينجح وينفق عليها بسخاء.

هو.. يريدها أشدّ منه تدينًا، يتقلّب في فراشه ليلًا فيراها قائمة تصلي، لا تغضب، لا تحزن، لا تشكو، ولا تملّ، وفي نفس الوقت جميلة الجميلات، حافظة للقرآن، دارسة للعلم الشرعي، وتسقيه للأبناء بالملعقة، لا بدّ أن تكون هكذا لأنها هي التي ستربي.

مهلًا!

لماذا تنتظر أن يأخذ بيدك أحد ما؟

لماذا لا تتحمل أنت المسؤولية؟

قم بنفسك..

التديّن والالتزام والقرب من الله لا يُقاس بالمسطرة، ولا يوجد شخص مثالي مئةٌ بالمئة. نحن لسنا أُناسًا آليين مبرمجين على الطّاعةِ لنكررها بانتظام.

الخشوع ليس له زرّ تضغط عليه فتشعر به، وحلاوة الإيمان لا تُحفَظ في علب نشتريها ونخزّنها.

لا ترفعوا سقف التطلّعات إلى عنان السماءِ، ولا تبالغوا في مواصفات فارس الأحلام، وفتاة الحلم الجميل.

تقبّلوا من الآن أنّ من سترتبطون به سيخطئ ربما أو يقصّر أحيانًا، وسيستيقظ مرّة بل مرّات بعد وقت الفجر فلا تنهاروا. هي ستتعب من خدمتك وخدمة أولادكما، وربّما تترك قراءة وردها أحيانًا، فلا تُصدم فيها!

هناك أشياء أساسية تمسّكوا بها، حاور من أمامك لتعرفه كإنسان وليس كملاك، اطرح حلمك بين يديه وتأمّل رد فعله، واستمع له، تجاوز عن بعض المقاييس البسيطة ما دام مُعظمه حسن.

ابحثوا عن الأخلاق وخذوا الطّباع في الاعتبار. أحيانًا يصطدم الطّبع السيئ بقواعد الالتزام التي تبحث عنها، فتجد زوجة مثقفة علميًّا وشرعيًّا ربما، لكنّها عنيدة جدًّا، وصوتها عالٍ للغاية، وفي كل نقاش تقف ندًّا لزوجها ولا تحترمه؛ فيكره الحديث معها على الرغم من أنها ذكية جدًّا، بيتهما غير ساكن؛ فهما في نقاشٍ حادٍّ على الدَّوام، فكيف سيسكُن الصغار؟!

وتجد أخرى لا تحفظ إلا الفاتحة وقصار السور، لكنها تجيد الإنصات لزوجها، وتريحه وتشعره أنه أميرها الوحيد، حتّى عندما تعبّر عن رأيها المختلف عن رأيه، فتعمّ السكينة، ويهدأ البيت، ويتهيأ الصغار لاستقبال أصول التربية منهما ومن المجتمع والمسجد؛ لأنهم -ببساطة- يعيشون في عُش هادئ.

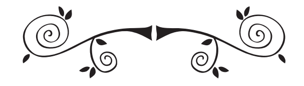
وأحيانًا يكون الزوج فظًّا غليظًا، أو يستخف برأي زوجته،أو يضربها بقسوة على الرغم من أنه أمام الجميع رائع ومتدين ويصلي، وتجد غيره ليس فقيهًا لكنّه رحيم، يحسن لزوجته وأبنائه ويحبّونه حبًّا جمًّا.

التقييم ليس بالمسطرة، خذ مَن أمامك بكل ما فيه، واعلم أنه بشر مثلك، وكما أنك لست دائمًا مثاليًّا، وتخطئ، وتقصّر، وتذنب؛ لا تطالبه بالمثالية.

ولا تطيلوا البحث عن نماذج خيالية لم تولَد بعد، ولا تقعوا في الفخ فتحكموا فقط بالمظاهر؛ فتصطدمون بالواقع وتتألّمون.

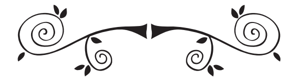
نحن لا نعرف من منَّا سبق الآخر بهمّته، ومن منا أخلص في آية واحدة رتّلها في ركعة خفيفة فسبق الجميع بها.

أسأل اللّه أن يرزق كلًّا منكم بنصف آخر، أو فلنقل هو (كُلٌّ) آخر تقر عينه به في الدارين.



١٠

(تمشي على استحياء).



تمشي على (استحياء)، لفظة قرآنية تخطّ لكل فتاة دستورًا لو طبقته لعاشت ملكة، أعوام طويلة مرّت وما زالت تمشي على استحياء في خاطري، لا تغادر روحي. كنت في العشرين عندما استمعت لمحاضرة صوتية للشيخ (أحمد القطان)، عنوانها (الحياء وفتنة النساء)، تحدّث فيها الشيخ عن الآية:

﴿فَجَآءَتۡهُ إِحۡدَاهُمَا تَمۡشِي عَلَى ٱسۡتِحۡيَآءٍ﴾.

وكان لشرحه وكلماته وقع جميل في نفسي، كالغيث اللطيف، جلست أنصت وأتخيلها وهي تمشي مع أختها على استحياء، فتاتان رقيقتان اضطرتهما ظروف الحياة للخروج لرعي الغنم، وليست بالمهمة السهلة عليهما. تبتلعهما أرض واسعة وحياة غليظة، خرجت الحبيبة

لترعى الغنم سيرًا على الأقدام، الرّمال الساخنة تلفح بشرتها الرقيقة، تتلفّت يمينًا ويسارًا، تتحمّل حرارة الشمس صبرًا على صبر، برًّا بأبيها الشيخ الكبير، والذي منعه كبر عمره من الخروج، فقامت وخرجت واستأنست بأختها لتقوم بالمهمة بكل ثقة، لكنها لم تتخلّ عن حيائها الجميل؛ فالعمل لأجل لقمة العيش لا يتنافى مع الحياء.

النبي نفسه ﷺ كان من خلقه الحياء.

والذي ننساه أن الحياء والإيمان قُرِنا معًا. يقول عليه الصلاة والسلام:

"الحياء والإيمان قرنا جميعًا، فإذا رُفِع أحدهما رُفِع الآخر".

ابسط كفيك وأنت تقرأ كلماتي الآن والصقهما ببعضهما، ارفعهما لأعلى معًا واخفضهما لأسفل معًا، هكذا الحياء؛ ملاصق للإيمان، لو غادر الحياء نفسك لا بد سيرحل الإيمان، إذا رُفِع الأول رُفِع الثاني.

وابنة شعيب؛ عندما أمرها أبوها أن تعود و تدعو موسى الذي آوى إلى ظل شجرة وجلس يدعو ربه، جاءته تمشي على استحياء، قيل في التفسير إنها كانت تخفي وجهها بثوبها، وقيل بكمّها، وقيل لمّا أرسلها والدها قام سيدنا موسى معها، وقال لها امضي، فمشت بين يديه (أمامه)، فضربتها الرّيح؛ فقال لها سيدنا موسى امشي خلفي ودلّيني على الطريق إن أخطأت، حتى لا تكشف الريح جسدها أمامه، فكانت تلقي الحجر يمينًا ويسارًا لتدلّه.
الشيخ محمد رفعت -رحمه اللّه- كان يقرأ الآية هكذا:

﴿فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاء﴾

ثم يتوقف و يعيد:

﴿عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ﴾.

وهذا من عبقرية التلاوة؛ فالحياء في المشي وفي القول أيضًا، غير متبخترة ولا متثنية ولا مظهرة زينة، وأخبرته وبيّنت له قصدًا، وهو أن أباها هو الذي يطلبه وليست هي- ليجزيه على مروءته وشهامته وعونه لهما...

اللّه اللّه!

انظروا يا أحباب عفة سيدنا موسى!

العفيف الشريف سار أمامها وجعلها خلفه؛ حياءً حتى لا يُفتَن بها وهي تسير أمامه! فالحياء خلقه هو الآخر، وهذا ما يغفله المتأملون في جمال قصّة سيدنا موسى وبنات مَدين، أنت أيضًا أيها الشاب تحلى بالحياء.. استحِ من الله!

وعندما عادت وحكت لأبيها أدرك الأب بفراسته أنه شابٌ تقيّ صالح وأمين، فعرض عليه أن يتزوّج إحدى ابنتيه، فقال:

﴿إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ﴾.

أي طلب إليه هذا الرجل الشيخ الكبير أن يرعى عنه ويزوّجه إحدى ابنتيه هاتين.

قال سفيان الثوري عنها إنها من أفرسِ الناس حين قالت:

﴿يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيّ الْأَمِين﴾

وقد استوسم فيه شعيب صلاحه وحسن خلقه؛ فعرض عليه ما عرضه وتم الزواج.

وضرب لنا أُمنا عائشة g أعظم مثال في الحياء، تقول g

«كنت أدخل بيتي الذي دُفِنَ فيه الرسول ﷺ وأبي، فأضع ثوبي فأقول: إنما هو زوجي وأبي، فلما دُفن عمر d معهما، فواللّه ما دخلت إلا وأنا مشدودة علي ثيابي حياءً من عمر.»

رضي اللّه عنكِ يا حبيبة رسول اللّه ﷺ أيّ حياء أعلى من هذا الحياء؟

للّه درُّها، تستحي من رجل قد مات ودُفِن تحت الثرى! وكذا استحت فاطمة بنت الحبيب ﷺ وهي تتخيّل نفسها بعد وفاتها بكفنٍ من خمس طبقات أمام الرجال؛ فجلست حزينة شاردة حتى سألتها أسماء بنت عميس عن سبب شرودها، فلما أخبرتها قالت لها أسماء:

«ألا أصنع لكِ شيئًا رأيته في الحبشة؟

نضع أعمدة على أركان النعش حتى يرتفع الغطاء على الأعمدة، فلا يبين أي شيء».

فردت فاطمة قائلة:

«اللهم استرها كما سترتني».

للّٰه درُّها، تستحي وهي ميتة! ذاك واللّٰه نعم الخلق، فاللهم جمِّلنا بالحياء، والحياء الحقيقي لا يمنع أن تكوني ذات رأي وعلم وشخصية وحضور وفراسة، ولا يمنع من الأمر بالمعروف، ومن النهي عن المنكر، الحياء فضيلة، وليس الحياء كالخجل؛ فبينهما فارق كبير!

الخجل ضعف النفس، أما الحياء فعزتها وكرامتها. وأن تضرب المقارنة بين (المرأة العاملة) الناجحة وبين (ذات الحياء)، فتلك مقارنة لا تصح؛ لأن لا تضاد بين الحياء والعمل والعلم.

عَنْ أَنَسٍ قَالَ:

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

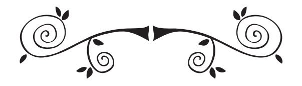
«إِنَّ لِكُلِّ دِينٍ خُلُقًا وَخُلُقُ الْإِسْلَامِ الْحَيَاءُ.»

الحياء ليس ضعفًا و لا هوانًا، وليس نقصًا في الفتاة أن تكون حيية؛ بل تلك الفطرة التي وضعها الله في كل أنثى لتحلو بها، بإهابها الأنثوي الرفيق وطبعها الرقيق. وتلك خصلة يحبها الزوج في زوجته، شئنا أم أبينا، حياء المرأة كثيرًا ما يكون أكثر جاذبية من جمال ملامحها، ولكن المرأة الصالحة لا تتجمل بالحياء من أجل الرجل، ولكنها لله، لله وحده.

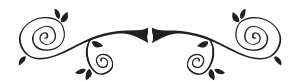
والحياء سلوك نثمنه جميعًا في الفتيات، كما ننبذ وننفر من الفتاة التي تخلط بين الجرأة وقوة الشخصية؛ فتشوه صورتها.

الحياء قوة، منتهى القوة أن تتحلى المرأة بالحياء في نظراتها وكلماتها وحركاتها وسكناتها، ولا يتنافى هذا مع العلم والعمل.

تمسكن بالحياء يا حبيبات؛ فهو حلية المرأة وزينة الفتاة.



الخاتمة



أحبّائي في الله

تعودنا أن نراجع ما نكتبه؛ فنجد أخطاءً كثيرة، وربما لا تعجبنا الفكرة؛ فنمحو كلمات ونمزّق أوراقًا ونحاول مرة أخرى.

وأحيانًا نمرّ فوق الخطأ فنشطب عليه وتظل العلامة؛ فنتذكر ولا نكرر نفس الخطأ، ولكننا عندما ننهي فقرة لا بد أن نضع في نهايتها نقطة، ونعود ونبدأ من جديد من أول السطر.

بداية جديدة، ومساحة أوسع، وفرصة أخرى أفضل، ولكن متى نضع النقطة؟ ومن أي سطر سنبدأ؟

وهكذا حياتنا، مجموعة من الأحداث والكثير من الأفعال والأقوال والمواقف والأشخاص.

هناك المفسدون، لابد أن نمحوهم تمامًا ونزيلهم من طريقنا.

فكل صديق سوء لا بد أن نرحل عنه قبل أن يفسد ما نحاول أن نصلحه، وكل ذنب أذنبناه لا بد أن نتطهر منه؛ حتى لا يهدم النفس المطمئنة التي نسعى إليها، ولنضع نقطة.

وهناك الحاقدون، فلنضعهم بين قوسين، نتجاهلهم ونبتعد عنهم، ونعاملهم كجملة اعتراضية لا محل لها من الإعراب، ولا نتأمل فيهم ونراقبهم حتى لا ننشغل بهم عن ما هو أهم.

وهناك الرائعون، الذين أضافوا إلينا لمسة ساحرة في كل لحظة تواصلنا فيها معهم، فلنبحث عنهم ونخط تحتهم خطًا أحمرَ.

وهناك الأصفياء الأنقياء الطاهرون، من أحبونا بصدق في الله ولله،

إن وجدونا على خير شجعونا، وإن أخطأنا نصحونا، وإن سقطنا حملونا، وإن أسأنا تحملونا، نرى وجوههم فنذكر اللّٰه، وكأنهم تسبيحة!

نتركهم فيلاحقونا بالدعاء، اللقاء بهم يُزيد الإيمان ويرفع الهمّة، والغياب عنهم يشعرنا بغربة؛ فنجد وجعًا خفيفًا في الصدر لا يخلو من لذّة؛ لأنه وجع الشوق إلى الأحباب في اللّٰه وصحبة الخير.

أولئك لا تكفيهم الخطوط، ولن تعبر عنهم الكلمات، فلنضعهم في إطار خاص ونخصص لهم بطاقة حب، ونحملهم في ركن قريب تحتويه قلوبنا، وتحفظه أفئدتنا، ولابد أن نحرر لهم من آن لآخر فراشات الدعاء، فتصوّب أجنحتها نحو السماء بصدق، فتعرف الطريق وتحلّق محملَة بالحبّ والرجاء لرب كريم، وتُستجاب الدعوات

أن يجمعنا اللّٰه بهم في أعلى الجنات.

مَزِّقنَ الأوراق واشطبن على الأخطاء، وضعن نهاية لكل الذنوب واجمعنها من هنا وهناك. فاللّٰه من كرمه

منحنا فرصة عظيمة لبداية جديدة عندما أصبحت كل سيّئة نتوب عنها تُقلب لحسنة، فتنقلب برحمته صفحاتنا إلى مساحات بيضاء، ولنبدأ من جديد...

نقطة ومن أول السطر.

ولتبحث كل واحدة منكن عن صحبة خير تعينها على الخير وطاعة الله، صحبة كحبات اللؤلؤ البيضاء النقية، تجتمع دائمًا معًا لتكون عقدًا ثمينًا غاليًا لا يُبَاع ولا يُشترَى، لكنه بلا شك لن ينفرط أبدًا.

